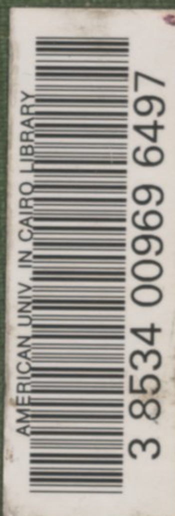

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00969 6497


الادب الكبير
عبدالله المقفع

Ibn al-Muqaffaʿ, ʿAbd Allāh
Kitāb al-adab al-kabīr

فهرس المقدمة

فهرس الادب الكبير

تابع الفهرست

تابع الفهرست

تابع الفهرست

تابع الفهرست

الحكمة المدنية

كتاب

الأدب الكبير

تأليف

عبد الله بن المقفع

نابغة كتاب العرب والفرس

وعني بضبط غريبه وتفسير مشكله

محمد حسن نائل المرصفي

يطلب من مكتبة مصطفى محمد الكتبي - بالقاهرة

حياة ابن المقفع

اقرأ حياة ابن المقفع فى كتاب (كليلة ودمنة) طبعة (المرصفى) تجدها وافية شافية

وهاهى ذى عناصر البحث الذى دون هناك

مصدر النبوغ — عصر ابن المقفع — براعته فى الكتابة — الكتابة العربية فى عصر ابن المقفع — الأساليب المستحدثة فى عصره — اسلوب ابن المقفع — زهده فى السجع — سهولة لفظه — حرصه على الإيجاز — إقلاله من المترادف — الحاجة إلى الترجمة فى عصر ابن المقفع — نبوغه فى الترجمة — عنايته بالحكم والأخلاق — أثر الآراء الاجتماعية فى السياسة والعقائد — الزندقة بين المسلمين — ديانة ابن المقفع — أثر الانتقال الاجتماعى فى العقائد — شرعة أديبي الأموية والعباسية — سيرة ابن المقفع — حرصه على الوفاء — مقتله

مطبعة محمد مطر في الحمزاوى بالقاهرة سنة ١٣٣١ هـ و١٩١٣ م

باسم الله الرحمن الرحيم نَستفتح القول ، وبحمده نَستمنِحه الحَوْلَ والطَّوْل ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله

أما بعدُ فهذه كلمات فى (الحِكمة المَدَنيَّة [1]) تلقفها

---

[1] اعتاد الاوّلون : من العرب واليونان أن يقسموا الفلسفة أربعة أقسام

(أولها) الفلسفة الطبعية ، أو العلم الأدنى ، ويبحثون فى هذا القسم عن الأجسام الطبعية وما ينالها من الصفات

(الثاني) الفلسفة الرياضية ، أو العلم الأوسط ، ويبحثون في هذا القسم عن الأشكال ، والسطوح ، والعدد ، وما لها من الخواص ، وما بينها من النسب

(الثالث) الفلسفة الالهية ، أو العلم الأعلى ، أو العلم الكلى ، ويبحثون فيه عن الاله وصفاته ، وعن الوجود وما يشابهه : من الأمور التى تعم الكون كله

(الرابع) الفلسفة الادبية ، أو العملية ، وهى عندهم ثلاثة أقسام :

أولها الأخلاق ، وفيه تدبير نفس الفرد

الثانى : تدبير المنزل ، وفيه سياسة الاسرة

الثالث : السياسة ، أو الفلسفة المدنية ، وفيه تدبير الأمة أو المدينة ، وبيان ما بين أفرادهما : من الروابط ، والاواصر ، والقواعد التي ينبغي أن يقوم عليها الاجتماع

وهذا النوع بطبيعته منقسم الى نوعين ، فان البحث اما أن يتصل بما بين الأفراد أنفسهم من الصلات ، أو بما بينهم وبين الحكومة منها

واذ كان كتاب (ابن المقفع) لايتجاوز فى جميع حكمه وقضاياه هذين النوعين فلا جرم كان اسم (الحكمة المدنية) أوفق الأسماء له ، وأدلها عليه

النَّاسُ أجيالا ، وتناقلوها أحقاباً ، وفُتِنَ بها الكاتبُ الأديب ،
والناقد الأريب ، إذ كانت تَدْبيجَ يَرَاعة زَعيم المُنْشئين ،
وقُدْوةِ الكاتبين (عبدِ الله بن المُقَفَّع) ذلك الذى دان له
النُّقَّاد بالبَراعةِ فى تحقيق الحِكْمة البالغة، وتحبير المَوْعظة النافِعة

اسم الكتاب

وَسمُوها (بالدُّرَّة اليَتيمةِ) مرَّةً ، ثم (بالأَدب الكبير)
أخرى ، ولها من كِلتا السِّمَتين أوفرُ نصيب ، فليس لاختِلافِهم
إذًا فائدةٌ : يُعَدُّ الإعراضُ عنها ضَرْباً من البُخْل على القارئ
بتحقيق الاسم ، أو نوعاً من التقصير فى تَمْحيص العُنْوان
بل إن أقلّ ما يُفيده هذا الاختلاف إنما هو تَقْوية
حُجَّةِ القائلين بأن التسمية لم تكن من قِبَلِ (عبد الله) نفسِه
وإنما هى من عَمَلِ مَن جاء بعدَه ، وهو الذى نَخْتارُه
ونَطمئنُّ اليه

معانى الكتاب

وأما ما جاء بهذا السِفرِ من الخَواطِرِ - وإن لم تَخْتص

بفئة دون فئة ، ولم تقتصر على إقليم دون إقليم - فإنا نراها منقولة كلها عن الفرس كما ذهب إليه (الباقلانى) فى كتابه (الإعجاز) وإلا فللنقل فيها صبغة واضحة وأثر جلي وسواء أصح نقلها عن قومه؟ أم كانت ممادلته عليه بصيرته ، وأوحته اليه قريحته، فانها للناس مصدر خير كبير وفضل كثير

العناية بطبع الكتاب

ولئن عرفنا لهذا السفر فضله ، وأدركنا خطره فقد عرفه غيرنا من قبل فعني بطبعه ونشره ، رغبة فى الآداب ، وحرصا على آثار الأولين من نوابغ الأدباء ، وأفذاذ الحكماء

غير أن الذى نشر من هذا المطبوع بين الناس لم يمنعنا أن نلقى هذا الدلو بين الدلاء ، فقد رأيناه بين قليل الثمن - ولكنه ردىء الطبع - لا يغنى الطالب غناء ، ولا ينال من نفسه رضاء وبين جيد الطبع ، محكم الوضع - ولكنه كثير الثمن - قد حاز رضى من نظارة المعارف ، ونال قبولا من جمهور القارئين وكتاب هذه خصائصه خليق بما ظفر به من حب ،

حَرِيٌّ بما حظِيَ لدَيه من ثِقَة ، محتاج إلى أن تَعُمَّ الفائدة منه ، ويكثرَ الانتفاعُ به بين الأغنياء والمترِبين

فضل زكي باشا على الكتاب

ولا سيّما أنه يدٌ لذلك البحّاثة النّشيط (الأستاذ أحمد زكي باشا ، كاتب أسرار ، مجلس النظّار)

ذلك الذى عُنِيَ بتجويد طبعه ، وإصلاح لفظه ، وشرح غريبه ، وتحرير معانيه . وهو فوق هذا كلّه لم يَخْلُ من كثير الخطإ والتصحيف ، ومن جَمّ السّهْو والتحريف : متجاوزاً عنايةً : ما كان أشدّهَا ! وحرصا ما كان أيقظَه !

تقدير عمل الباشا فى الكتاب

وإنا لنظلِمُ (سعادة الباشا) إذا لم ينَل منا اعترافاً له بالنَّصَبِ فى سَبيل البَحْث ، وبالعَناء والمشقات وراء التَّحقِيق

فلقد عرَفناه يجُوب القِفَار ، ويقْطَع البحار ، ويَسهَر الليل ويكدّ النهار : سعياً وراء أمانيه التى لم تكن - والحمدُ لله - إلا علميةً فى محض إخلاص

وحَسْبُه ما أتى به من مَكَاتِب الشَّرق والغَرْب ،
وشَرَعَت نظارة المعارف فى طبعه منذُ حين

ذلك حقٌّ لا مِرْيةَ فيه : كما أنه لا مَسحة للمُراءاة عليه
وكيف ؟ ولم أعلمْ من ذوى المعْرِفة والدِراية ، ولا من أهل
الخُبرة والبصيرة من أوتى صَبْرَه على البحث ، وجَلَدَه فى
التنقيب ، ولا من قرّب للعلم هذه القرابينَ من الوقت
والنفس والمال

لهذا البحاثة المحقق شديدُ الرّغبة فى التغيير والتبديل
وفى المَحْو والإِثبات : قلّ أن يُجاريه فيها غيرُه ممن نَهَج هذى
الطريق فى خِدمة العلم وآله ، حتى لقد يَخرُج الكتابُ من
بين يديه كتابين ، والفنُّ فنين . ولا لَوْمَ عليه فى ذلك ولا
تثريب . فان للبحث نزعةً لا تتفقُ والاختصارَ فى سبيل ،
ولا تلتئِم مع الاقتصاد فى طريق

على أن أيسر ما نَستنبطه من هذه الأعمال إنما هو خَصْلة
من أجمل الخصال فى عظماء الرجال : تلك أن نفسه طلّاعةٌ إلى

الغاية ، نزّاعة إلى الكمال « وإن كان الكمال لله وحده ، لا يشاطره إيّاه ندٌّ ، ولا يُنازعه فيه شريك »

لذلك تراه فى نسخته [1] التى نَشَرها لم يقتصِر فى جدول الخطأ والصواب على ما ليس له مُتَنَفَّسٌ من تأويل ، ولا مُتَسَرَّب من تخريج . بل تراه يترك الشكَّ إلى اليقين ، ويجتازُ الفَصيحَ إلى الأفصح : شأن المستشرقين فى تحقيق مباحثهم ، والمجتهدين فى تمحيص آرائهم

وليس أَدَلَّ على ذلك من هذا الجدول الذى أثبت فيه تحقيقا ونفى تأويلا ، وأتى بآية ونسخ آية ، حتى بلغَت صفحات الخطأ والصواب عشرا [2] ، حاشا الاستدراكاتِ ، فقد ابتَنى لها فصلا [3] آخر ذيل به الكتاب الذى لم يَمْلأْ بعدُ (ستةَ أفرخ من القَطع الصغير)

كل هذا ليس بمنكَرٍ على أحد ، ولا مأخوذ به إنسان ،

---

١ وهي الطبعة الاولى التي ظهرت فى سنة ١٣٣١ هـ — ١٩١٢ م ولم يظهر غيرها بقلمه حتى الآن ٢ من صفحة — ١٤٠ — الى — ١٤٩ — ٣ من صفحة — ١٣٣ — الى — ١٣٨ —

مادُمنا نَلجأُ بعد ذلك إلى حِرزٍ حريز من صَواب الرأى ، ورُكنٍ شَدِيدٍ من صَحِيح القَوْل

وإنما الذى إيّاه نَعيب ، وله نستَزرى ألاّ يضمَن الرجلُ ثِقتَه بنفسه ، أو أن يَلُوح له من عمله ما يُزعزع هذه الثقة - إن كانت - ثم لا يَسعى لها سعيَها ، فيتلمّسُها فى المظَانّ ، ويَفتقدها فى آثار الناس

نذكر الآنَ بَعضَ ماوَرَد فى جَدول الخطإ والصواب مثلا لذلك . فقد جاء بصفحة - ١٨ - ضبطٌ للفظ (حَرَصوا) بكسر الراء ، ثم وردت بالجَدْول فى مَصافّ الخطإ . قال والصواب فتحُها . وهذا حسَنٌ كلَّ الحسن ، لأن كسرَ الراء لُغة أو لُغَيّة ، والفتح - لا شك - أفصح ، فنحن نوافقه على هذا ونشايعه فيه ، ونشكرُه إياه ، لأنه دأب في سبيل الكمال : كما أنه عَهدٌ عليه ، وميثاق منه ، برغبته عن الفصيح الى الأفصح ، ورجوعِه عن الصالح الى الأصلح

وإنما الذى لا نَرضاه (لسعادة الباشا) ولا نُقرُّه عليه

ما جاء بصفحة - ٧٥ - فقد ضبط فيها لفظُ (يكسِبُه) ثلاثيا فى هذه الجملة (وإن الشريرَ يَكسِبُكَ الأعداءَ) ثم ورد فى الجدول مُخَطأ . فأما أننا لا نَرْضاه له ولا نُقِرُّه عليه فلأن التعديل فيه معكوس مَخلوط ، والتحرير مُختَل معتلّ . ولو وُفّق (سعادة الباشا) لارتضى ما أقرّته المصادفة ، ولاكتفى بما خَدَمته به محاسنُ الموافقة

ذلك أن (كَسَب) الثلاثىّ يجتاز إلى مفعولين بنفسه ، غيرَ مُحتاج فى تعديته الى حرف ولا صيغة ، فنقول (كَسَبنا الله الخير) و (كَسَبنا الاجتهاد حسنَ الصواب)

وعلى هذا اتّفق جُمْهورُ اللغويين حتى قالوا - أوكادوا - بلسان الإجماع : ليس فى اللغة فعل مهموز من (كَسَب) اللهم الا ابنُ الأعرابى الذى أجاز الرباعىّ مع شِدّة إنكار اللغويين له وزرايتهم عليه . وأنشد (فأكسبنى مالا وأكسبته حمدا) وان وافقه (ابن يعقوب) وذكره في صورة تُشعر بضعفه

إذًا فالثلاثى هو الذى تعرِفه اللغة ، وما داخل الشك لُغَوِيًّا

فيه : بخلاف الرُّباعى الذى أجمعوا على إنكاره كما قدمنا ، وإليه يُشير (أحمدُ بن يَحْيَ) بقوله كلُّهم يقول : كَسَبَ الا (ابن الأعرابى) فيقول أكسب

عتبنا على الباشا فى احتكار الكتاب

بقى أمامنا الآن شئ عَرَض فى مقدمة كتابه . ولسنا نريد أن نَمُرّ به مرّ الكِرَام كما يقول الكاتبون . فليست هذه بمنزلةِ الأستاذ . وإنما هو من أول الذين يجب أن يُعْنَى جُمْهورُ الناس بكل ما نَطَق به لسانُه ، أو جرى به قلمُه ، ويُحاسبوه عليه حسابا ، ولو يسيرا

وإنما نريد أن نُشيرَ إليه ونعتبَ على (الأستاذ) فيه ، احتفالا بشأنه ، وتنزيها لقلمه عن مثل الذى سقط فيه . وجديرٌ بنا قبل ذلك أن نَقِف بالقارىء على لفظه الذى جاد به بَنَانُه ، وجاش به جَنَانه . قال بعد كلمة وجيزة فى أنه أهدى الى جمعية العروة الوثقى كتابين : هما جرثومة الأدب ومن خير ماظهر بلسان العرب :

﴿ تجلَّى « الأدب الصغير » منذ عام ، فى ثوب قشيب

بديع النظام . فحيّاه أمراء الفصاحة ، واستبشر به أهل الرأى وأرباب الحصافة . ونال عند الفريقين مكانته الجدير بها من التجلة والإكرام . نال من الرواج ما جعل بعض البُله المتطفلين يقلده بلا خجل ، وفاته (أن التكحل غير الكَحَل)

لعمرى ! إن هذا التقليد لا يسوءنا مطلقا . فالعاجز (المزوِّر) إنما (يتسكع) فى تقليد البضاعة المقبولة ليكسب من وراء جريرته السحت والحرام !

لو أن الأغرار المغرورين (يتقدمون الينا [1]) (لنُهديهم شيئاً [2]) يجعل لهم ذكراً محموداً ولنهديهم السبيل الذى يكون لهم فى نهايته مقاما كريما ، لفعلنا . والله على ما نقول شهيد . ويقيننا أيضا أنهم إذا التمسوا من تلك (الجمعية؟) نوالا من هذا الباب ، لما بخلتْ عليهم . لأن وظيفتها إسداء الخير ونفع الناس لكنّ (الانحطاط) بلغ من بعض الذين (لا خلاق

---

١ مما يؤسف عليه ان الاستعمال لا يرضى ذلك فان (تقدم اليه) لا يستعمل الا بمعني (أمره) ولا نظن الباشا قد قصد الى ذلك سبيلا

٢ الصواب : لنهدي اليهم ، أونهدى لهم

لهم) أنهم يؤثرون التدنّى فى الأخلاق والتدلّى فى الأعمال، لأن الرزق الحلال لا يُجديهم، والريح الطيبة تُؤذيهم. فهم لا يبالون إذا ما تشبهوا (بالحييوينات [1]) الحلَمية أو النباتات الطُّفَيلية. (وما ذا نقول فى الفضول، ولله فى خلقه شؤون؟)

على أنه ما دام أهل الشهامة يتضافرون على رفع مستوى الأخلاق والارتقاء بها فى سلّم الكمال، فلا بُدّ للفضيلة من التغلُّب على ذلك الصنف من الحيوان، فينقرض «إن شاء الله» من جثماننا الاجتماعىّ، تبعا للناموس العمرانىّ الدائم، وهو بقاء الأصلح والأنسب. فأما الزبد فيذهب جُفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض

فأنت ترى أن أولئك الذين نالهم (الباشا) بقلمه قد أحفظوه وأحرجوا صدرَه، حتى لم يستطع أن يَكظِم غيظه، أو يكُفّ غربه، أو يملكَ نفسه عن الوقوع فيما وقع فيه مما لا يحسن به، ولا يصحّ أن يُنسب اليه

---

١ الصواب (بالحييوانات) لان التصغير هنا يجب أن يكون فى المفرد لا فى الجمع

ولَعَمرى لقد وقف الباشا نفسه بمنزلة هى الى الخطإ أدنى منها الى الصواب. فقد كان مقامُ خصومه خليقاً أن يَعصِمَهم من لسانه (إن كانوا كباراً) أوأن يَعصِمَ لسانه منهم (إن كانوا صِغاراً) وما كان للباشا - وهو الحريص على إذاعة العلم وفضله بين الناس، المَعنِيّ بإشاعة الأدب ونقده فى الجمهور - أن يميل الى احتكار كتاب نشره وجدّ فى طبعه. وإنما الجديرُ به، المرضىُّ منه أن يستبشر حين يرى تداوُلَ الناس له، وتهالكهم عليه

عنايتنا بالكتاب

وها نحن أولاء قد عَمَدنا الى الكتاب، فأعدنا طبعه، وحققنا لفظه، وشرحنا غريبه، ورتبنا معناه، وخفضنا ثمنه فجعلناه مقالتين كما كان يصنع قدماء الحكماء بكتبهم، وجعلنا الأولى فى السلطان منقسمة الى بابين: الأولُ فى آدابه، والثانى فى صحبته. وجعلنا الثانية لآداب الأصدقاء شاملة، ولما يحسن بهم من الخلال حاوية. ثم سمونا الى معانى الكتاب فقسمناها مطالب، وجعلنا لكل مطلب عنوانا، ووضعنا بهذه العنوانات

ثبتا (فهرسا) يُرْجَع فى البحث اليه ، ويُعتمد فى التنقيب عليه، ليكون متناوَله على التلميذ أسهل ، وجَنَاه الى الطالب أدنى

إذ كانت هذه الطريقة لنفوس التلاميذ آلف ، ولطباعهم ألصق . وإذ كانوا لا يُحبّون كتابا ولا يحرصون على النظر فيه ، إلا اذا ازدان بها ، وتَحلّى بجمالها

وقد جمعنا من نسخ الكتاب المنشورة والمخطوطة ما ائتلف منها وما اختلف ، فلاءمنا بين متنافرها ، ووفقنا بين متمانعها ، واستخرجنا منها نسخة ما نرى الا أنها أحسن مظهر للوفاق ، وأجمل معرض للانسجام

ورأينا أن هذه النسخ لم تتفق فى ترتيب المعانى بعضها إلى بعض ، ولم نعرف لترتيب بعينه روايةً صحيحةً عن (ابن المقفع) فآثرنا أن نَبْذُل من أنفسنا فى ذلك جهْداً وأن نقر كل معنى مما قبله وما بعده فى نِصَابه ، ونضعه فى المكان المقسوم له ، حتى تأخذَ فُصُول الكتاب بَعضُها بحُجزَةِ بَعض ، فلا يَقع القارئ فى سوء الانتقال

ولسنا ندعى لأنفسنا العِصمة من الخطإِ ، ولا ننتحل لها البراءة من الزلل . ولا نُظهرها مظهرَ الضعيف المتردد ، ولا الشاك المرتاب

وانما نُعلن أنا قد بذَلنا فى هذا الكتاب عملاً مّا ، أرحبَ ما نكون صدراً لقبول ما يوجّه إِلينا من نَقد ، وأطيبَ ما نكون نفسا باتباع ما يهدى إِلينا من إِرشاد . والله ولى التوفيق

محمد حسن نائل المرصفى

القاهرة غرة الحجة سنة ١٣٣١ هجرية

قال عبد الله بن المقفع

(فى فضل الاقدمين)

إنّا وَجَدنا الناسَ قبلنا كانوا أعظمَ أجساماً ، وأوفرَ [١] مع أجسامهم أحلاماً [٢] ، وأشدَّ قوةً ، وأحسنَ بقوّتهم للأُمور إتقاناً ، وأطولَ أعماراً ، وأفضلَ بأعمارهم للأشياء اختباراً [٣]

فكان صاحبُ الدين منهم أبلغَ [٤] فى أمر الدين علماً وعملاً من صاحب الدين منا ، وكان صاحب الدنيا على مثل ذلك من البلاغة والفضل

ووجدناهم لم يرضَوْا بما فازُوا به من الفضل الذى قُسِمَ لأنفسهم حتى أشركونا معهم فيما أدرَكوا من علم الأُولى والآخرة ، فكتبوا به الكُتُبَ الباقية ، وضربوا الأمثالَ

---

١ أكثر ٢ الاحلام : جمع حلم بالكسر وهو العقل . ويروى اجسادهم بدل اجسامهم ٣ يريد ان طول اعمارهم وكثرة ممارستهم جعل اختبارهم للاشياء ووقوفهم على الحقائق افضل من اختبارنا واقرب منه الى الصواب ٤ أى أكثر تمسكا بالعلم وأشد حرصا على العمل

الشافيةَ ، وكفَوْنَا به مُؤُونة[١] التجارِب والفِطَن

وبَلَغَ من اهتمامهم بذلك أنّ الرجل منهم كان يُفتَحُ له البابُ من العلم ، أو الكلمةُ من الصواب ـ وهو فى البلدِ غير المأهول[٢] ـ فيكتُبُه على الصخور مبادرةً للأَجَل وكراهِيَةَ منه أنْ يَسقُطَ[٣] ذلك عمّن بعدَه

فكان صَنِيعُهُم فى ذلك صنيعَ الوالد الشفيق على وَلدِه ، الرحيمِ البَرِّ بهم ، الذى يجمع لهم الأموال والعُقَدَ[٤] إِرادةَ ألاّ تكونَ عليهم مُؤُونةٌ فى الطلبِ ، وخَشيَةَ عَجزِهِم ، إنْ هم طَلَبُوا

فمُنتَهى عِلمِ عالِمنا فى هذا الزمان أنْ يأخذَ من عِلمِهم. وغايةُ إِحسانِ مُحسننا أن يقتدىَ بسِيرِهم

---

١ المؤونة بالضم والفتح : المشقة والعناء . والتجارب بكسر الراء : جمع تجربة بكسرها أيضا: وهى اختبار الشيء مرة بعد اخرى ٢ أي الذى ليس فيه أهل يسكنونه ٣ يقول كان المتقدمون اذا ماعنّت لاحدهم خاطرة أو سنحت لهم شاردة بادروا بتدوينها على الصخور خشاة أن يوافيهم الاجل فتسقط عمن بعدهم وتضيع على سواهم ، ويروى كراهية لان يسقط ٤ العقد : جمع عقدة : وهى العقار ونحوه . وفسرها الاستاذ الشنقيطى بأنها النفائس من الاموال ولو كان ذلك مراداً للكاتب لغض من مكانتها ذكر الاموال قبلها




وأحسنُ ما يُصيبُ من الحديثِ مُحَدِّثُنا أن ينظرَ في كُتُبِهِمْ. فيكونَ كأنهُ إياهم يُحاورُ[١]، ومنهم يَستمِعُ، وآثارَهم يتَّبعُ، وعلى أفعالهم يحتذي وبهم يقتدي

غير أنَّ الذي نجِدُ في كُتُبِهِم هو المنتخَلُ[٢] من آرائِهم والمُنْتَقَى من أحاديثِهم

ولم نجدْهم غادرُوا[٣] شيئاً يجدُ واصفٌ بليغ في صفةٍ لهُ غايةً[٤] لم يسبِقُوهُ إليها: لا في تعظيمِ الله - عزَّ وجلَّ - وترغيبٍ فيما عندَه، ولا في تصغيرٍ للدنيا وتزهيدٍ فيها، ولا في تحريرِ صنوفِ العلمِ وتقسيمِ قِسَمِهَا[٥] وتجزئةِ أجزائها وتوضيحِ سُبُلِها وتبيينِ مآخذها، ولا في وجهٍ من وجوه

---

١ اياهم : مفعول مقدم ليحاور . ومثله آثارهم مفعول ليتبع : والمحاورة : المناقشة . ضاق ذرع الكاتب من أهل عصره فوصفهم بألا نصيب لهم من الابداع ولا حظ من الابتكار وليس لهم الا أن يتلمسوا طريقا لمتقدمهم فيطلبوه أومثالا لهم فيحتذوه : بألفاظهم يعبرون وبآرائهم يفكرون كانهم جميعاً في مجلس يتحاورون *سقط من بعض النسخ قوله (وعلى أفعالهم يحتذي ، وبهم يقتدي) ولكن هذا التركيب بأسلوب ابن المقفع ألصق ٢ المختار : المنتقى . جاء في حرف الجر الداخل على آرائهم خلف في بعض النسخ فورد لفظ في بدل من والذي ذكرناه أنسب ٣ غادروا : تركوا ٤ ويروى مقالا لم يسبقوه اليه ٥ ويروي أقسامها

الأَدب وضُرُوب الأخلاق[١]

فلم يَبقَ في جليل الأمر ولا صغيره لقائل بعدهم مقال وقد بَقِيَتْ أشياء من لطائف الأمور فيها مواضعُ لصغار[٢] الفِطن، مُشتقَّةٌ من جسام حِكَمِ الأوّلين وقَوْلِهم. فمن ذلك بعضُ ما أنا كاتبٌ في كتابي هذا من أبواب الأَدَب التي قد[٣] يَحتاجُ إليها الناسُ

(٢) مطلب

(في الحث على تعرف أصل العلم وفصله)

يا طالب العلم!

إنْ كنتَ نوعَ العلم تريدُ[٤] فاَعرف الأُصول والفصول. فإنَّ كثيراً من الناس يطلبُون الفَصُول مع إضاعة الأصول. فلا يكونُ دَرَكهم[١] دَرَكاً. ومَن أحرز

---

١ أصاب بعض النسخ سقط في الكلمات فورد (ولا فى وجوه الادب...) وأما الضروب فجمع ضرب بالفتح وهو الصنف ٢ ويروي لغوامض الفطن ٣ ويروي بأسقاط « قد » ٤ نوع: مفعول لتريد. وقد سقطت جملة الشرط من بعض النسخ

الأُصولَ [٢] اكْتَفى بها عن الفصول . وإنْ أصاب الفصلَ بعد إِحراز الأصل فَهُوَ أفضل

فَأَصلُ الأمرِ فى الدّين أنْ تعتقِدَ الإِيمانَ على الصواب ، وتَجتنِبَ الكبائرَ ، وتؤدِّيَ الفريضة . فالْزمْ ذلك لزومَ مَنْ لا غِنًى له [٣] عنه طرْفةَ عينٍ ، ومَنْ يعلمُ أنه إن حُرِمَه هلكَ . ثم إنْ قدَرْتَ على أنْ تُجاوزَ ذلك إلى التفقُّه فى الدين والعبادة فهو أفضلُ وأكملُ

وأصل الأمرِ فى صلاح الجسد ألاَّ تَحمِلَ عليه من المآكل والمشارب والباه إلا خُفَافا [٤] ثم إنْ قدَرْتَ على أنْ تعلَمَ جميعَ منافع الجسد ومضارّه والانتفاعَ بذلك كلّهِ فهو أفضلُ

١ الدرك محركة : ادراك الحاجة · يريد أنهم وان حصلوا على بعض ما أملوا وأدركوا أثارة من علم لم يكن حقيقاً أن يسمى هذا الحصول ادراكا للحاجة ولا وصولا للغاية ٢ حازها ٣ يقال: ما له عنه غني بالكسر ولا مغني ولا غنية ولا غنيان مضمومتين ، ويراد : ما له بد · والمعني على هذا مستقيم لا غضاضة فيه · وأما الغناء بالفتح ممدوداً فيستعمل : ضد الفقر مثل المقصور أيضاً

٤ كذلك وردت في نسخة الشنقيطي خفافا بالالف بين الفاءين · وزعم صاحب السعادة احمد زكى باشا ان المعنى معها لا يستقيم · قال : ووردت هذه الكلمة في ش : « خفافا » وأظن المعنى بها لا يستقيم · ورواها خفا بالكسر ومعناه الخفيف · ولو كان يعتمد في تحقيقه على غير ذاكرته لرأي

وأصل الأمر فى البأس والشجاعة ألاّ تُحدِّث نفسَك بالإدبار، وأصحابُكَ مُقبِلون على عدوِّهم. ثم إن قَدَرْتَ على أنْ تكون أوّلَ حاملٍ وآخِرَ مُنْصَرِفٍ، من غير تضييع للحِذْر [1]، فهو أفضلُ

وأصل الأمر فى الجُود ألاّ تضِنَّ بالحقوق على أهلها. ثم إنْ قَدَرْتَ أنْ تزيد ذا الحقّ على حقّه وتَطَوّلَ [2] على من لا حقَّ له فافعلْ فهو أفضلُ

وأصل الأمر فى الكلام أنْ تسلَمَ من السَّقَط [3] بالتحفُّظ. ثم إن قدَرْتَ على بارع الصواب فهو أفضل

وأصل الأمر فى المعيشة ألاّ تَنِيَ [4] عن طَلَب الحلال، وأن تُحسِنَ التقدير لما تُفيدُ وما تُنفِقُ. ولا يَغُرَّنَّكَ من ذلك

صاحب القاموس يقول والخف بالكسر: الخفيف، والجماعة القليلة، وكغراب الخفيف، لاستقام المعنى ولاستبان له اللفظ. ١ الحذر بالكسر ويحرك (مع الفتح): التحرز ومجانبة الشيء ٢ أصلها تتطول حذفت احدى التاءين تخفيفاً. ومعناه تمتن. وتروي أيضاً تطول من الثلاثى المأخوذ من الطول الذى هو المن أيضا ٣ السقط محركة: الخطأ ٤ من قولهم ونى الرجل في الامر: فتر وضعف وكل وأعيا




سَعَةٌ تكون فيها . فإنّ أعظمَ الناس فى الدنيا خَطَراً[1] أحوَجُهُم إلى التقدير ، والملوكُ أحوج إليه من السُّوقةِ[2] لأن السُّوقة قد تعيش بغير مال ، والملوك لاقِوَام[3] لهم إلا بالمال . ثم إنْ قَدَرْتَ على الرِّفق واللُّطف فى الطلب والعلم بوجوه المَطالب فهو أفضلُ

وأَنا وَاعِظُكَ فى أشياءَ من الأخلاق اللطيفة والأمور الغامضة التى لو حَنَّكَتْكَ سِنٌّ كنتَ خليقاً أن تعلمها ، وإن لم تُخْبَر عنها . ولكنّنى قد أحببتُ أن أُقدِّمَ إليك فيها قولا لترُوض[4] نفسَك على محاسنها قبل أن تجرِىَ على عادة مساوِيها . فانّ الإنسانَ قد تَبْتَدِرُ إليه فى شبيبته المساوئُ ، وقد يغلب عليه ما بَدَرَ إليه منها للعادة . فإنَّ لترك العادة مؤُونةً شديدة ورياضةً صعبة

---

١ الخطر بالتحريك : الشرف وارتفاع القدر والمنزلة ٢ السوقة بالضم : الرعية من الناس للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وقد سموا كذلك لان الملك يسوقهم ويصرفهم الى ماشاء . وأما السوقي فواحد السوقيين : لاهل السوق ٣ القوام بالكسر نظام الامر وعماده وملاكه الذى يقوم به ٤ من قولهم راض المهر روضا ورياضة : ذلله وجعله مسخرا مطيعا . والمعنى لتكره نفسك على مزاولة محاسنها




المقالة الاولى

فى السلطان وفيها بابان

الباب الأول

(فى آداب السلطان وفيه مطالب)

(٣) **مطلب**

(فى أن صاحب الامارة لا ينبغى له أن يعني الا بأعمالها)

إنِ ٱبتُليتَ بالسلطان [1] فتعوّذْ بالعلماءِ [2]

وٱعلم أن من العَجَب [3] أن يُبتَلى الرجلُ بالسُّلطان فيُريدَ أنْ ينتقصَ من ساعات نصَبه وعمله فيَزيدَها فى ساعات

---

١ السلطان هنا : ولاية امور الناس والامارة وقد وردت باللفظ الاخير فى كثير من النسخ . وأما لفظ السلطان الذي يعرف الآن فقداستعمل فى الاسلام ووضع لقب تفخيم لوزراء الدولة العباسية ويقول ابن خلدون ان جعفر بن يحي (وزير هارون الرشيد) سمي سلطانا ويرجح عند المؤرخين ان السلطان لم يكن رتبة رسمية الا فى اواخر القرن الرابع للهجرة اذ سمي به محمود الغزنوي ابن سبكتكين ويرون على هذا الرأي أنه اول سلطان فى الاسلام بعد ان كانت رتبته امير الامراء ثم صار بعدُ لملوك الاتراك والاكراد والجراكسة وغيرهم من السلاجقة والايوبية والمماليك والعثمانيين ٢ يقال تعوذ به : اعتصم ولجأ اليه

٣ العجب : انكار ما يرد عليك . ومما لاريب فيه ان اشتغال صاحب السلطان

دَعَتهِ وفَراغهِ وشَهوَتهِ وعَبَثه ونومه

وإنما الرأىُ له والحقُّ عليه أن يأخذ لعمله من جميع شُغْله ، فيأخُذَ له من طعامه وشرابه ونومه وحديثه ولَهْوِهِ ونسائه قَدْرَ ما يكونُ به إِصلاحُ جسمه وتقويةٌ له على إتمام عمله

وإنما تكون الدَّعَةُ[1] بعد الفراغ

فاذا تقلَّدْتَ شيئاً من أمر السلطان فكُنْ فيه أحدَ رجلين :

إما رجلا مغتبِطا به[2] ، محافِظا عليه مخَافَةَ أنْ يزول عنه ،

وإما رجلا كارها له مُكرَها عليه . فالكاره عاملٌ فى سُخرةٍ : إما للملوك ، إنْ كانوا هم سلطوه ، وإما لله تعالى ، إنْ كان ليس فوقه غيرُه

بعبثه وشهوته وعنايته بدعته ورفاهيته فى ملك هو احوج ما يكون الى تلك الاوقات التى انفقها في لذائذه وذلك النصب الذي اضاعه في شهوات نفسه مما يستفز الدهش ويثير العجب

رأى صاحب السعادة احمد زكي باشا فى تحقيق نسخته ان الاولى استبدال لفظ العيب بلفظ العجب ليستقيم المعنى ٠ ولكنه رجع آخر الكتاب فارتضى العجب واستقام له المعنى ٠ ١ الدعة : الراحة والخفض ٢ مسرورا

وقد علمتَ أنه من فرَّط فى سخرة الملوك أهلكوه.

فلا تجعل للهلاك على نفسك سلطانا ولا سبيلا

وإياك - إذا كنت واليًا - أن يكون من شأنك حبُّ المدح والتزكية، وأن يعرفَ الناسُ ذلك منك، فتكونَ ثُلمةً[1] من الثُّلَم يتقحّمون عليك منها، وبابا يفتتحونك منه، وغِيبةً يغتابونك بها ويضحكون منك لها

واعلمْ أنَّ قابلَ المدح كمادح نفسه. والمرء جديرٌ أن يكون حبُّه المدحَ[2] هو الذى يحمله على ردِّه. فإنّ الرادَّ له محمودٌ، والقابلَ له معيبٌ

(٤) مطلب

(فيمن ينبغى للوالي أن ينال رضاه)

لِتكنْ حاجتُك فى الولاية إلى ثلاثِ خصال: رِضَى ربّك، ورِضَى سلطان - إن كان فوقك - ورِضَى صالِحِ من تَـلِي عليه.

---

١ الثلمة بالضم ، فرجة المكسور والمهدوم والجمع ثلم ٢ المدح مفعول للمصدر الذي هو حبه

ولا عليك أن تلهُو عن المال والذكر ، فسيأتيك منهما ما يحسنُ ويطيبُ ويُكتفى به

واجعلِ الخصالَ الثلاثَ منك بمكانِ ما لا بُدَّ[1] لك منه . واجعل المال والذكر بمكان ما أنت واجد منه بُدًّا

مطلب (٥)

(فيمن يجب أن يكونوا بطانة وأصفياء)

اِعرفِ الفضل فى أهل الدينِ والمرُوءَة فى كل كُورَةٍ[2] وقَرْيَةٍ وقبيلة . فليكونوا هم إخوانَك وأعوانَك وأخدانَك وأصفياءَك وبِطانتَك ولطفاءَك وثِقاتِك وخُلَطاءَك . ولا تقذِفنَّ فى رُوعِك[1] أنك إنِ استشرْتَ الرجالَ ظهر للناس منك الحاجةُ إلى رأى غيرك . فانّك لستَ تريد الرأى للافتخار به ، ولكنّما تُريده للانتفاع به . ولو أنك

١ اي بمكان مالا مفر لك منه ولا مندوحة عنه ٢ الكورة بالضم : الصقع وفى المفردات: قيل لكل مصر كورة وهى البقعة يجتمع فيها قرى ومحال (قال احمد زكى باشا : وذلك من التقاسيم الجغرافية القديمة مثل الرستاق فى بلاد فارس والمخلاف فى بلاد اليمن والجند فى بلاد الشأم وكما نقول نحن مديرية فيما يختص

مع ذلك أردتَ الذكرَ ، كان أحسن الذكرين وأفضلَهما عند أهل الفضل والعقل أن يقال : لايتفرّد برأيه دُون آستشارة ذوِي الرأى

(٦) مطلب

(فى أن رضى الناس غاية لا تدرك)

إنك إن تلتمسْ رِضَى جميعِ الناس تلتمِسْ ما لا يُدْرَك وكيف يتّفق لك رأى المختلفين؟ وما حاجتُك إلى رِضَى مَنْ رِضاهُ الجَوْر ، وإلى مُوافقةِ مَنْ مُوَافقتُه الضلالةُ والجهالةُ ؟ فعَلَيْك بآلتماس رِضَى الأخيار منهم وذوىَ العقل ؟ فإِنّك متى تُصِبْ ذلك تَضَعْ عنك مَؤونةَ ماسِواه

بأرض مصر) ثم ذكر فى الاستدراك آخر الكتاب ان هذا مأخوذ بعضه عن ياقوت أما ياقوت فانه قال فى (مخاليف اليمن) هى بمنزلة الكور والرساتيق وفى مادة (رستاق) قال وربما جعل من نواحى كرمان

وفى (أجناد الشأم) بذكر قول احمد بن يحي بن جابر : اختلفوا في الاجناد فقيل سمي المسلمون فلسطين جندا لانه يجمع كورا والتجند التجمع ثم قال أيضا . . ولم تزل قنسرين وكورها مضمومة الى حمص حتى كان يزيد بن معاوية فجعل قنسرين وأنطاكية ومنبج جندا برأسه . وقد كان ياقوت جعل قنسرين أحد أجناد الشأم الخمسة * فيستخلص من هذا كله ان حاشية المحقق احمد زكى باشا قد دخلها السهو وأن الكورة لاتوازي الجند فى الشأم كما يقول

١ الروع بالضم : القلب وقيل موضع الفزع منه

(٧) مطلب

(فيما ينبغي للسلطان نحو أصفيائه وسائر رعيته)

لا تُمَكِّنْ أهل البلاء الحسن عندك من التدلُّلِ[١] عليك ، ولا تُمكِنَنَّ مَن سواهم من الاجتراء عليهم والعيب لهم[٢] لِتَعرِفَ رعيَّتُك أبوابَك التي لا يُنال ما عندك من الخير إلا بها ، والأبوابَ التي لا يَخافُك خائف إلا من قِبَلِها

اِحرِصِ الحِرصَ كلَّه على أنْ تكون خابراً أُمورَ عُمّالك . فإنَّ المُسِيءَ يَفرَق من خِبْرَتك قبل أن يُصيبه

---

١ يقال تدلل عليه : اظهر الجرأة ايهاما بالمخالفة وليس في نفسه خلاف

٢ يريد ولا تطمع فيهم غيرهم فيجترئوا عليهم ويعيبوهم . ذكر الامير شكيب ان عاب تتعدى باللام وهو خطأ . والصواب أن يقال عاب الشيء : صار ذا عيب وعابه : أضاف اليه العيب

وهنا استدرك صاحب السعادة احمد زكى باشا على هذا الامير آخر الكتاب وجاء بتحقيق مستفيض . ولكن لنا عليه ملاحظات سترد بعد ان نذكره لك قال (وانما احتاج ابن المقفع لاستعمال جملة « والعيب لهم » لاستخدام لام التقوية التى تأتى بعد المشتقات لضعفها عن العمل بنفسها . ولو قال « وعيبهم أو وعيبهم اياهم » لكان الكلام صحيحاً . ولكنه راعى المشاكلة مع الجار والمجرور قبله في قوله « والاجتراء عليهم فاستعمل والعيب لهم . وهذا من حسن الديباجة وجمال الملاءمة التى يميل اليها بلغاء الكتاب) اه قول المحقق

وأما ملاحظاتنا فأولاها اعتباره هذا المركب جملة وهو قول ابن المقفع (والعيب لهم) وهو بعيد عن تقسيم الجمل التي يعرفها النحوى والبياني والمنطقى

وَقعكَ به وعقوبَتُك ، وإنّ المُحسِن يستبشر بعلمك قبل أن يأتيه معروفُك

لِيَعرِفِ الناسُ ـ فيما يعرِفون من أخلاقك ـ أنك لا تُعاجِلِ بالثواب ولا بالعِقاب ، فانّ ذلك هو أدوم لخوفِ الخائف ورَجاءِ الراجي

مطلب (٨)

(فى الحث على احتمال نصح النصيح وعذله)

عوّدْ نفسَك الصبرَ على مَن خالفك من ذوى النصيحة ،

وثانيتهما تعريفه لام التقوية بأنها التي تأتي بعد المشتقات · فان هذا التعبير مما يدل على أنه رأى فى لفظ العيب اشتقاقا · وكذلك يرى الكوفيون : أن المصدر مشتق ولكن ماذا يرى المحقق في قول الله (ان كنتم للرؤيا تعبرون) هل يعتقد أن الفعل مشتق أيضاً وهل يعتقد أن اللام جاءت (بعد) مشتق ؟ ؟

ثالثها انه جعل قول ابن المقفع غير صحيح · ثم لم يلبث أن جعله من حسن الديباجة وجمال الملاءمة التى يميل اليها بلغاء الكتاب · ولست أدرى كيف تكون اللام للتقوية ومن باب المشاكلة ثم يكون غير صحيح · ولعله يريد أن هذا التركيب مما يمنعه الاستعمال المسموع وتجيزه القواعد الموضوعة · فان كان ذلك يريد فعبارته تحتاج بعد الى بيان أشفي واوضح

والحقيقة أن لام التقوية هى المزيدة لتقوية عامل ضعف عن العمل وذلك اذا تأخر كقوله تعالى (هدي ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) أو كان العامل فرعا في العمل كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغة المبالغة نحو مصدقا لما معهم

والتجرُّعَ لمرارة قولهم وعذلهم ، ولا تُسهِّلَنَّ سبيلَ ذلك إلا لأهل العقل والسنّ والمُرُوءة ، لئلا ينتشر من ذلك ما يجترئُ به سفيه أو يستخِفُّ به شانئ[1]

(٩) مطلب

(فى ان السلطان لا ينبغى له ان يعنى بغير الخطير من الرجال والاعمال)

لا تتركَنَّ مباشرةَ جسيم أمرك فيعودَ شأنُك صغيراً ، ولا تلزِمَنَّ نفسك مباشرةَ الصغير ، فيصيرَ الكبيرُ ضائعاً

واعلمْ أنّ مالكَ لا يُغني الناسَ كلهم فاخصُصْ به أهلَ الحقّ ، وأنّ كرامتك لا تُطيق العامّةَ كلها فتوخَّ بها أهل الفضل ، وأنّ قلبك لا يتسع لكل شيء ففرِّغْهُ للمهم ، وأنّ ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجاتك ، وإن دأبتَ فيهما ، وأن ليس لك إلى إدامة الدأب فيهما سبيلٌ مع حاجة جسدك إلى نصيبه منهما فأحسنْ قِسمتهما بين عملك ودعتك

واعلمْ أنّ ما شغلتَ من رأيك بغير المُهمّ أزرى بك

فعال لما يريد . نزاعة للشوى . وأما ذلك التعريف الذي جاء به فلم يرض عنه كوفى ولا بصرى ١ الشانئ : المبغض

فى المُهِمّ ، وما صَرَفتَ من مالِكَ فى الباطل فَقَدْتَهُ حين تُرِيدُهُ للحقّ ، وما عدَلتَ به من كرامتك إلى أهل النقص عن أهل الفضل ، وما شغَلتَ من ليلك ونهارك فى غير الحاجة أزرى بك عند الحاجة منك إليه

(١٠) مطلب

(فى تحذير السلطان من الافراط في الغضب والتسرع فى الرضى)

اِعلمْ أنّ من الناس ناساً كثيراً [١] يبلغ من أحدهم الغَضَبُ - إذا غَضِب - أن يَحمِله ذلك على الكُلُوح [٢] والقُطُوب [٣] فى وجه غير مَن أغضبَه ، وسوءِ اللفظ لمَن لاذنبَ له ، والعقوبةِ لمَن لم يكن يَهِمّ [٤] بمعاقبته ، وشدّةِ

١ ناس : اسم وضع للجمع كالرهط والقوم ، واحده انسان من غير لفظه . واسم الجمع يعامل معاملة المفرد كما يعامل معاملة الجمع : فيقال ناس كثير كما يقال ناس كثيرون . وقيل انه جمع أنس وأصله أناس جمع نادر وهو ما لم يجر عليه ابن المقفع هنا ، والا لوجب ان يقول (ناس كثيرون) ٢ الكلوح بالضم ومثله الكلاح مضموما أيضاً مصدر كلح الوجه كقطع : تكشر فى عبوس ، أو عبس فأفرط في تعبسه ، وقيل ان الكلوح في الاصل بدو الاسنان عند العبوس ٣ القطوب مضموماً والقطب مفتوحاً : مصدر قطب الرجل كنصر زوي ما بين عينيه وكلح ، ويقال زوى ما بين عينيه وما بين عينيه ٤ من هم بالشيء هما : نواه وأراده وعزم عليه وقصده ولم يفعله




المعاقبة باللسان واليدِ لمَن لم يكن يُرِيد به إلا دُونَ ذلك . ثم يبلغ به الرِّضَى - إذا رَضِى - أن يتبرَّعَ بالأمرِ ذِى الخَطَرَ[١] لمَنْ ليس بمنزلة ذلك عنده ، ويُعطِىَ مَن لم يكن يُرِيد إعطاءَه، ويُكرِمَ مَنْ لم يُرِد إكرامَه ولا حقَّ له ولا مودَّةَ عنده

فاحذَر هذا الباب الحذَرَ كلَّه ! فإنّه ليس أحدٌ أسوأَ فيه حالاً من أهل السلطان الذين يفرِطون باقتدارهم فى غضبهم، وبتسرُّعهم فى رضاهم . فانّه لو وُصِفَ بهذه الصفة مَن يُلْتَبَسُ بعقله أو يتخبَّطُهُ المَسُّ[٢] أنْ يُعاقِبَ عند غضبِه غيرَ مَن أغضَبه ويَحبُو[٣] عند رضاه غيرَ مَن أرضاه لكان جائزاً ذلك فى صِفتِه

(١١) مطلب

(في أنواع الملك)

اِعلمْ أنَّ المُلك ثلاثةٌ : مُلْكُ دِينٍ ، ومُلْكُ حزْمٍ ،

---

١ الخطر بالتحريك: عظم الامر ورفعة شأنه ٢ المس بالفتح: الجنون ، وقد كان العرب يزعمون أن الشيطان يمس الرجل فيختلط عقله ٣ يقال : حبا فلانا كذا ، وبكذا : أعطاه . وأما حباه عن كذا فبمعني منعه

ومُلكُ هوًى

فأَمَّا مُلكُ الدّين فانه إذا أقام للرعية دينَهم - وكان دينُهم هو الذى يُعطيهمْ الذى لهم ويُلْحِق بهم الذى عليهم أرضاهم ذلك ، وأنزل الساخطَ منهم منزلةَ الراضى فى الإقرار والتسليم

وأمّا مُلْكُ الحزم فانه يقوم به الأمرُ ولا يَسْلَمُ من الطعن والتسخُّطِ . ولن يضُرَّ طعنُ الضعيف مع حزم القوىّ

وأمّا مُلْكُ الهوى فلَعِبُ ساعةٍ ودَمارُ دهرٍ

(١٢) مطلب

(فى التحذير مما لم يبن علي حزم من أعمال السلطان)

إذا كان سلطانك عند جِدَّةِ[1] دولةٍ ، فرأيتَ أمراً آستقام بغير رأى ، وأعوانًا أَجْزَوْا[2] بغير نَيل ، وعملا أَنْجَحَ[3]

---

١ الجدة بالكسر فالتشديد : ضد القدم ، وأصله من جد الحائك الثوب : قطعه ، وجد الثوب صار جديدا : يريد : في ابان ظهور الدولة ونشأة السلطان

٢ الاجزاء والجزاء: الغناء والكفاية ، يقال : جزا عنك وأجزي اذا غني غناءك وكفاك مهما من أمرك . والمهموز الذي اختاره ابن المقفع : انما هو لغة تميم

٣ نجح الامر وانجح : قضى وتيسر ، وأنجح فلان في أمره : ظفر به

بغير حزم ، فلا يَغُرَّنْكَ ذلك ولا تَستَنيمَنَّ إليه . فان الأمرَ

وانجح الله حاجتك : قضاها ، كل ذلك ثبت في اللغة صحيح في استعمال الفصحاء .
وزعم صاحب السعادة احمد زكي باشا ان هذا الفعل : انهمز اختص بالعقلاء وهو تخصيص غريب لا تعرفه اللغة ولم يستطع المحقق نفسه ان يثبت عليه بل اضطر الى أن يعترف بان في اللغة انجحت الحاجة : اذا تيسرت ثم قال : اما انجح فخاص بالعقلاء ؟ بمعني فاز وظفر وهو اضطراب غريب في التخصيص فان هذا الاختلاف المعنوى لم ينشأ الا من اختلاف الاسناد

الا ترى أن المحقق نفسه وسائر اللغويين يتفقون على (انجحت الحاجة وأنجحها الله) مع ان اختلاف الاسناد جعل في الفعلين اختلافا معنويا ولفظيا لاشك فيه

أما المعنوي فان انجاح الحاجة ، تيسرها : وانجاح الله اياها : تيسيره لها

وأما اللفظى فظاهر وهو أن أول الفعلين لازم مطاوع لثانيهما المتعدي

١ المعروف : ان نون التوكيد الثقيلة هي كالخفيفة ترد في النظم كما ترد في النثر وتؤديان وظيفة واحدة وأن انفرد الخليل بأن التأكيد بالثقيلة عنده أبلغ من التأكيد بالخفيفة . غير ان زكي باشا يذكر في استدراكاته قوله (ومعلوم ان أكثر استعمال هذه النون (أي الخفيفة) انما يكون في النظم والاولى أن تكون هنا ثقيلة) وهو قول ليس بوجيه ، لان النون الخفيفة كثيرا ما وردت في المنثور الا انها في المنظوم أبين لمساعدة الوزن على توضيحها ، بخلاف المنثور الذي قل فيه الضبط فلم تعلم فيه الخفيفة من الثقيلة . على انهما وردتا في التنزيل . قالت امرأة العزيز : ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين . وعندي ان النون الخفيفة في هذه الآية قد ادت وظيفة الثقيلة من تأكيد الوعيد . بالرغم مما قيل في هذه الآية من أن الخفيفة ما اكتسبت هذا التأكيد الا من الثقيلة قبلها يؤيد ذلك قوله تعالى : كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية . ومعلوم ان هذه الآية نزلت في أبي جهل اذ حلف باللات والعزى . لئن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ليطأن على رقبته وليعفرن وجهه فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فما فجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه وينفى بيديه فقيل : له في ذلك ، فقال : ان بيني وبينه

الجديد رُبَّما يكون له مَهابةٌ فى أنفس أقوام وحلاوةٌ فى قلوب آخرين ، فيُعِينُ قومٌ على أنفسهم ويعـين قومٌ بما قِبَلَهم . ويَستتِبّ ذلك الأمرُ غيرَ طويلٍ ، ثم تصـير الشؤُون إلى حقائقها وأصولها

فما كان من الأمور بُنِيَ على غير أركانٍ وثيقـةٍ ولا دعائمَ مُحكَمةٍ أوْشَكَ أنْ يتداعى و يتصدَّعَ

لا تـكونَنَّ نَزْرَ الـكلام والسلام، ولا تَبْلُغَنَّ بهما إفراطَ الهشاشة والبشاشة . فإنَّ إحـداهما من الـكِبْر والأخرى من السُّخْف

لخندقا من نار وهولا واجنحة الى آخر ما ورد مما هو مشهور. فالمقام مقام ردع وزجر ووعيد . ومعني لنسفعا بالناصية : لنأخذن بناصيته ولنسحبن بها الى النار يوم القيامة فأدت الخفيفة هنا وظيفة الثقيلة أيضا . فان قيل ان تأكيد التهديد والوعيد قد اكتسب أيضا من كلمة (كلا) قبلها كان هـذا غير مقبول أيضا لورودها فى بعض القراءات بالثقيلة : فقد قرأ محبوب وهارون : وكلاهما عن أبي عمرو (لنسفعن) بالنون الشديدة . وقرأ ابن مسعود (لاسفعن) كذلك مع اسناد الفعل الى ضمير المتكلم وحده

فتبين الآن أن الخفيفة تؤدي ما تؤديه الثقيلة وقد تقوم مقامها ولا وجه اذا للاولوية التي ذكرها المحقق في نسخته . على أن ابن المقفع راعى في ذلك كله الاسلوب وانبساط النفس الذي يجرى مع الخفيفة ويسلس في هذا التركيب

(١٣) مطلب

(فى حض السلطان على التوثق من رأى الاعوان قبل الاقدام)

إذا كنتَ إنما تضبط أمورَك وتصولُ على عدوّك بقوم لستَ منهم على ثقةٍ من دِين ولا رأيٍ ولا حِفاظٍ [١] من نيّةٍ فلا تفعلْ نافلةً [٢] حتى تحمِلَهم ـ إنِ استطعتَ ـ على الرأى والأدب الذى بمثله تكون الثقةُ ، أو تستبدِلَ بهم ، إنْ لم تستطع نقلَهم إلى ما تريد . ولا تَغُرَّنك قوتُك بهم على غيرهم . فانّما أنت فى ذلك كراكِبِ الأسد الذى يَهابُهُ من نظر إليه ، وهو لِمَرْكَبه أهيَبُ

---

١ أصل الحفاظ : الذود عن المحارم : يريد ان لم تثق ممن تصول بهم على عدوك بأن ذودهم عنك ومساعدتهم اياك صادر عن بصيرة ونية . . .

٢ رويت فلا تفعل نافلة . والنافلة : ما يفعله الانسان مما ليس بواجب عليه . ولست أجد لها معنى يتفق مع سابقها ولاحقها . وكذلك وردت : فلا تنفك نافعة . وهذه الرواية كسابقتها لا تنقع غلة ولا تشفى علة

وأما نحن فقد رجحنا أنها : فلا تنفك داعية . وتحريف (نافعة) عن (داعية) سهل وقريب . والمعني على ذلك بين لاشبهة فيه يريد : ان لم تكن على ثقة من دخيلة اعوانك فلا تزل فيهم داعية تبرر رأيك وتدعم حجتك وتقوى عقيدتك حتى تحملهم على أن يكونوا موضعا لثقتك

وربما قيل فى هذا التحريف (فلا تنفعك نافعة) وهذه الجملة مع قربها وامكان موافقتها لا يزال فيها شئ من خفاء

(١٤) مطلب

(فى تحذير السلطان من أمات الرذائل : الغضب والكذب والبخل وكثرة الحلف)

ليس للملك أن يَغْضَبَ ، لأنَّ القُدرةَ من وراء حاجته

وليس له أن يَكْذِبَ ، لأنه لا يقدِر أحد على استكراهه على غير ما يُريد

وليس له أن يبخَلَ ، لأنه أقلُّ الناس عُذراً فى تخوُّف الفقر

وليس له أن يكونَ حَقُوداً ، لأنّ خَطَرَه [١] قد عَظُم عن مجاراة كل الناس

وليس له أن يكون حلاّفاً ، لأن أحقّ الناس باتِّقاء الأَيمانِ الملوكُ ، فانما يحمِل الرجلَ على الحَلِف إحدى هذه الخصال :

إمّا مَهانة [٢] يجدها فى نفسه ، وضَرَع [٣] وحاجة إلى تصديق الناس إياه

وإمّا عِيٌّ [٤] بالكلام ، فيجعلُ الأَيمانَ له حَشواً ووصلا ،

---

١ يريد : لان عظم قدره ورفعة شأنه تأبي عليه ان يجارى الناس في رذائلهم

٢ المهانة : المذلة ٣ الضرع محركة : الضعف وهو مصدر ضرع كفرح لغة فى ضرع اليه كقطع ومصدره ضراعة ٤ العى بالكسر مصدر عى الرجل بأمره ، وعن أمره وعيى بالفك ، والادغام اكثر . والفعل كعلم والمعنى لم يهتد الى وجه مراده او عجز ولم يطق أحكامه

وإِمّا تُهَمَة قد عَرَفها من الناس لحديثه، فهو يُنزِل نفسه منزِلَة مَن لا يُقبَل قولُهُ إلا بعد جَهد اليمين [١]

وإِمّا عَبَثٌ [٢] بالقول وإرسالٌ لِلّسانِ على غير رَوِيّة ولا حُسْن تقديرٍ ، ولا تعويدٍ له قولَ [٣] السَّداد والتثبُّتَ *

*possible, but not usual: Wright II, 570

احسن

(١٥) مطلبٌ

(في أن لا عيب على الملك أن يلهو اذا وثق من تدبير ملكه)

لا عَيْبَ على الملك فى تعيُّشه وتنعُّمه ولَعِبِه ولَهوِه، إذا تعاهد [٤] الجسيم من أمره بنفسه ، وأحكمَ المهمَّ ، وفوّض ما دُونَ ذلك إلى الكُفاة [٥]

(١٦) مطلبٌ

(فى ان احق الناس باتهام نظره بعين الريبة السلطان)

كلُّ أحدٍ حقيقٌ ـ حين ينظر فى أمور النـاس ـ أن يَتّهِمَ نَظرَهُ بعيْن الرّيبةِ [٦] ، وقلبَه بعيْن المقت [٧] ، فإنهما يُزيِّنان

---

١ اي بعد المبالغة فى اليمين ٢ العبث محركة : اللغو ٣ قول : مفعول ثان لتعويد لانه ينصب مفعولين ٤ يقال : تعاهد الشيء وتعهده : تفقده ٥ الكفاة : جمع كاف وهو ما يكفيك ٦ الريبة بالكسر : الشك كالريب بالفتح ٧ المقت : البغض والكراهة مصدر مقت كنصر

الجورَ[١] ، ويحملان على الباطل ، ويُقبّحان الحَسَنَ ، ويُحسّنان القبيحَ

وأحقُّ الناس باتّهام نظره بعين الريبة وعين المقتِ السلطانُ الذى ما وقع فى قلبه رَبَا[٢] مع ما يُقيّض له من تزيين القُرَناء والوزراء

وأحقُّ الناس بإِجبار نفسِهِ على العدل فى النظر والقول والفعل الوالى الذى ماقال أوفعل كان أمراً نافذاً غيرَ مردود

لِيَعْلم الوالى أنّ الناس يَصِفُون الوُلاة بسُوءِ العهد ونِسيان الوُدّ . فَليُكابِرْ نقضَ قولهم ، ولْيُبْطِلْ عن نفسه وعن الوُلاة صفاتِ السوء التى يُوصفون بها

(١٧) مطلب

(فى حض السلطان على الامعان فى تفقد أمر رعيته)

حقُّ الوالى أنْ يتفقّد لطيفَ أمور رعيته ، فضلا عن جسيمها ، فان لِلّطيف موضعا يَنْتفِع به ، وللجسيم موضعا لا يَستغنى عنه

---

١ الجور : الظلم وتجاوز الحد ، مصدر جار كقال   ٢ ربا يربو : زاد كنما يسمو




لِيتفقّدِ الوالى ـ فيما يتفقّد من أُمور رعيّتـه ـ فاقـةَ[١] الأخيار والأحرار منهم ، فليعملْ فى سدّها ،وطُغْيانَ السِفْلة منهم فليقمَعْه ، [٢] وليَسْتَوْحِشْ [٣] من الكريم الجائع واللئيم الشبعان ، فانّما يَصُول الكريمُ إذا جاع ، واللئيمُ إذا شبِع

(١٨) مطلب

(فيما ينبغى للوالي أن يتخلى عنه)

لا ينبغى للوالى أن يحسُدَ الولاة إلا على حسن التدبير.

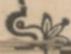
ولا يحسُدَنّ الوالى مَن دونه ، فإنّه أقلُّ فى ذلك عُذرا من السُوقة التى إنّما تحسُدُ مَن فوقها ،وكُلٌّ لا عُذْرَ له

لا يلومَنّ الوالى على الزَلّة مَنْ ليس بمتّهمٍ عنده فى الحرص على رضاه إلاّ لَوْمَ أدَبٍ وتقويم ، ولا يعدِلنّ بالمجتهد فى رضاه البصيرِ بما يأتى أحداً

فإنهما إذا آجتمعا فى الوزير والصاحب نام الوالى وآستراح ، وجُلبت إليه حاجاته ، وإنْ هدَأ عنها ، وعُمِل له

---

١ الفاقة : الحاجة والفقر ٢ يريد فليصرفه عنه ٣ استوحش : ضد استأنس يريد لا تؤمن له ولا تستسلم اليه




فيما يهمّه وإنْ غَفَلَ

لا يُولَعَنّ الوالى بسُوءِ الظّنّ لقول الناس، وليَجعلْ لحسن الظّنّ من نفسه نصيباً موفوراً يُرَوّحُ[١] به عن قلبه ويُصْدِرُ[٢] عنه (فى) أعماله

لا يُضيّعَنّ الوالى التثبُّتَ عند ما يقول، وعند ما يُعطِي، وعند ما يَعْمَل

فإِنّ الرجوعَ عن الصمت أَحسنُ من الرجوع عن الكلام، وإِنّ العطيّة بعد المنع أجملُ من المنع بعد الإِعطاء، وإِن الإِقدامَ على العمل بعد التأنّي فيه أحسنُ من الإِمساك عنه بعد الإِقدام عليه

وكلُّ الناس محتاجٌ إِلى التثبُّت

وأحوجُهم إِليه ملوكُهم الذين ليس لقولهم وفعلهم دافعٌ، وليس عليهم مستحِثٌّ

١ يخفف به عن نفسه وينفس عن قلبه ٢ يقال اصدرت في الامر عن رأى حازم أي مضيت فيه بتثبت وروية • ونظن لفظ (في) سقط من الناسخ فى بعض النسخ

(١٩) مطلب

(فى حث السلطان على الاخذ بالدين والبر والمروءة)

لِيَعلم الوالى أنّ من الناس حُرَصاءَ على زِيّه[١]، إلا مَن لابالَ له[٢]. فليَكُنْ للدِين والبرّ والمُرُوءَة عنده نَفاقٌ[٣]، فيُكسِدَ[٤] بذلك الفُجُورَ والدناءَةَ فى آفاق الأرض

(٢٠) مطلب

(فيما يحتاج اليه الوالي من الآراء)

جِماعُ[٥] ما يحتاج إليه الوالى من أمر الدنيا رأيان: رأى يُقَوّى به سلطانَه ، ورأىٌ يُزَيّنه فى الناس

ورأى القوة أحقهما بالبُداءة وأوْلاهما بالأَثَرَة[٦]

ورأى التزيين أحضرهما حلاوةً وأكثرهما أعوانا

مع أن القوّةَ من الزينة ، والزينةَ من القوّة. ولكنّ الأمرَ يُنسَب إلى مُعْظَمِه وأصله

---

١ أى حريصين على أن يشبهوه فى أعماله ويقتدوا به في فعاله ٢ البال : الخطر ويريد الامن لاهمة له ولا خطر ٣ النفاق : الرواج ٤ يريد فيقال بذلك ... ٥ جماع الشيء بالكسر : جمعه ٦ الاثرة بالتحريك : الاختيار واختصاص المرء نفسه بأحسن الشيء دون غيره

الباب الثاني

(فى صحبة السلطان)

(٢١) مطلب

(في تحذير مصاحب السلطان أن يغتر باستئناسه)

إنِ ٱبتُلِيتَ بصحبة السلطان فعليك بطول المواظبة فى غير معاتبة ، ولا يُحدِثَنَّ لك الاستئناسُ به غفلةً ولا تهاونًا إذا رأيتَ السلطان يجعلك أخًا فاجعله أبًا ، ثم إن زادك فزِدْهُ .

إذا نزَلتَ مِن ذِى منزِلة أو سُلطان فلا ترَيَنّ أن سلطانه زادك له توقيرا وإِجلالا ، من غير أن يَزيدك وُدًّا ولا نصحا ، وأنك ترى حقا له التوقير والاجلال . وكن فى مداراته والرفق به كالمؤتنف[١] ماقبله ولا تُقدّرِ الأمرَ بينك وبينه على ما كنت تعرف من أخلاقه ، فان الأخلاق مستحيلة مع الملك

١ المستأنف

وربّما رأينـا الرجـل المُدِلّ على ذى السلطان بقِدَمِـه قد أضرّ به قِدَمُه

إن ٱستطعتَ ألاّ تصحبَ من صَحِبتِ مِنَ الوُلاة إلا على شُعْبة[1] من قرابة أو مودّة ، فٱفعـل . فإن أخطـأك ذلك فٱعلمْ أنّك إنما تعمل على السُّخرة[2]

إن ٱستطعتَ أنْ تجعل صُحْبَتَك لمن قد عرَفك بصالح مُرُوءَتك وصحّة دِينك وسلامة أُمورك قبل ولايته فٱفعل

فانّ الوالى لا عِلْمَ له بالنـاس إلا ما قـد علِمَ قبـل ولايته . أما إذا وَلِى فـكلُّ الناس يلقاه بالتزيُّن والتصنُّع[3] ، وكلُّهم يحتال لأن يُثنَى عليه عنده بما ليس فيه . غير أنّ الأنذال والأرذال هم أشدُّ لذلك تصنّعا وأشدُّ عليه مثابرة وفيه تمحُّلاً

فـلا يمتنع الوالى ـ وإنْ كان بليغَ الرأى والنظر ـ من أن يَنزِلَ عنده كثيرٌ من الأشرار بمنزلة الأَخيار ، وكثيرٌ

١ الشعبة : الطائفة من كل شيء ٢ السخرة : ما سخرت من خادم ودابة بلا أجر ولا ثمن ٣ يقال : تصنع الرجل : تكلف حسن السمت والتزين واظهر عن نفسه فعلا ليس فيه

من الخانة[١] بمنزلة الأُمناء ، وكثيرٌ من الغَدَرةِ[٢] بمنزلة الأوفياء، ويغطَّى عليه أمرُ كثير من أهل الفضل الذين يصونون أنفسهم عن التمحل والتصنُّع

(٢١) مطلب

(فى تحذير اثير السلطان من اكثار ألفاظ الملق)

إذا عرفتَ نفسك من الوالى بمنزلة الثقة ، فاعزِلْ عنه كلامَ الملَق ، ولا تُكثِرَنَّ من الدعاء له فى كل كلمة، فانّ ذلك شبيهٌ بالوَحشة والغُربة : إلا أنْ تكلِّمَه على رءوس الناس ، فلا تَألُ عمَّا عظَّمَه ووقّره

(٢٣) مطلب

(فى الحذر من أن يظن الوالي بك مشايعة الهوي)

لا يعرِفنّك الوُلاةُ بالهوَى فى بلدٍ من البُلدان ولا قبيلةٍ من القبائل ، فيُوشِكَ أنْ تحتاجَ فيهما إلى حكاية أو شهادة ،

١ الخانة : جمع خائن كما يجمع أيضا على خونة وخائنين ٢ الغدرة كفجرة: جمع غادر كفاجر وهو الذي انبعث في المعاصي ففسق وزنى

فَتَتَّهِمَ فى ذلك

فاذا أردتَ أنْ يُقْبَل قولُكَ فصحّح رأيك ولا تَشُوبَنَّه [١] بشىءٍ من الهوى ، فانّ الرأى الصحيح يقبله منك العدوُّ ، والهوَى يردُّه عليك الولَدُ والصديق

وأحقُّ مَن آحترستَ من أن يظُنَّ بك خلطَ الرأى بالهوَى الولاةُ . فانَّها خديعة وخيانة وكُفرٌ عندهم

(٢٤) مطلب

(في التنفير من صحبة والٍ لا يريد صلاح رعيته)

إن آبتُليتَ بصُحْبة والٍ لا يُريد صلاحَ رعيّته فاعلمْ أنك قد خُيِّرتَ بين خَلَّتين [٢] ليس منهما خِيارٌ :

إِما المَيْلُ مع الوالى على الرعيّة ، وهذا هَلاكُ الدين ،

وإِما الميل مع الرعيّة على الوالى ، وهذا هَلاكُ الدنيا

ولا حيلةَ لك الا الموْتُ أو الهَرَبُ .

واعلم أنه لا ينبغى لك ـ وان كان الوالى غيرَ مَرْضِيّ

---

١ أي لا تخالطنه بشيء من الهوى ٢ الخلة بالفتح : الخصلة

السيرة ، إذا علقت حبالك بحباله ـ إلا المحافظة عليه ، إلا أن تجد إلى الفراق الجميل سبيلا

تبصر ما في الوالي من الأخلاق التي تحب له والتي تكره ، وما هو عليه من الرأى الذى ترضى له والذى لا ترضى . ثم لا تكابرنه بالتحويل له عما يحب ويكره إلى ما تحب وتكره . فإن هذه رياضة صعبة تحمل على التنائي والقلى

فانك قلما تقدر على رد رجل عن طريقة هو عليها بالمكابرة والمناقضة ، وإن لم يكن ممن يجمح به عز السلطان . ولكنك تقدر على أن تعينه على أحسن رأيه ، وتسدده فيه وتزينه ، وتقويه عليه . فاذا قويت منه المحاسن كانت هى التي تكفيك المساوئ . وإذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذى يبصره مواقع الخطإ بألطف من تبصيرك وأعدل من حكمك فى نفسه . فإن الصواب يؤيد بعضه بعضاً . ويدعو بعضه إلى بعض

حتى تستحكمَ لصاحبه الأشياء، ويظهرَ عليها بتحكيم الرأى. فاذا كانت له مكانةٌ من الأصالة اقتلَعَ ذلك الخطأ كلَّه.

فاحفظْ هذا البابَ وأحكِمْهُ

(٢٥) مطلب

(فيما ينبغى لطالب الحاجة لدى السلطان)

لا يكونَنَّ طَلَبُكَ ما عندالوالى بالمسألة [١]، ولاتستبطِئْهُ، وإن أبطأَ عليك [٢]. ولكنِ اطلبْ ما قِبَلَه بالاستحقاق له، واستأنِ به [٣]، وإن طالتِ الأناة منه. فانك إذا استحققته أتاك عن غير طلب، وإن لم تستبطئه كان أعجَلَ له

(٢٦) مطلب

(فى تحذير صاحب السلطان من الادلال عليه)

لا تُخبِرَنَّ الوالى أنَّ لك عليه حقًّا، وأنك تعتَدُّ عليه ببلاء. وإنِ استطعتَ ألاّ ينسى حقَّك وبلاءَك فافعلْ. وليَكُنْ ما يُذَكِّره به من ذلك تجديدُك له النصيحةَ

١ السؤال ٢ يقال أبطأ عليه بالامر: أخره ٣ من استأني بالامر: انتظره

والاجتهادَ ، وألاّ يزالَ ينظرُ منك إلى آخرٍ يذكّره أوّلَ بلائك

واعلمْ أن السلطانَ إذا انقطع عنه الآخرُ نسيَ الأوّلَ، وأنّ الكثيرَ من أولئك أرحامُهم مقطوعةٌ وحبالُهم مَصرومة ، إلا عمّنْ رَضُوا عنه وأغنَى عنهم [1] في يومهم وساعتهم

(٢٧) مطلب

(في تحذير صاحب السلطان من التعتب عليه والاستزراء له)

إياكَ أن يقعَ في قلبك تعتُّبٌ [2] على الوالي أو استزراءٌ له. فانه إن وقع في قلبك بدَا في وجهك، إن كنتَ حليما ، وبَدَا على لسانك ، إن كنت سفيها

فإنْ لم يزِدْ ذلك على أنْ يَظهرَ في وجهك لآمَنِ الناس عندكَ فلا تأمَنَنَّ أنْ يَظهرَ ذلك للوالي

فانّ الناس إلى السلطان بعَوْراتِ الإخوان سِراعٌ . فاذا ظهر ذلك للوالي كان قلبُه هو أسرعَ الى النفور والتغيُّر

١ أي اجزأ وقام مقامهم ٢ التعتب : تخاطب الادلال • وفلان لا يتعتب عليه في شيء أى لا يعاب • ومن هنا أراد ابن المقفع

من قلبك . فمحق ذلك حسناتك الماضية ، وأشرف بك على الهلاك ، وصرت تعرف أمرك مستدبراً ، وتلتمس مرضاة سلطانك مستصعباً . ولو شئت كنت تركته راضيا ، وازددت من رضاه دنوًّا

(٢٨) مطلب

(فى حض الوزير على الحذر من اعدائه والترويح عن نفسه)

اعلم أن أكثر الناس عدوًّا جاهداً حاضراً جريئاً واشيا وزيرُ السلطان ذو المكانة عنده . لأنه منفوسٌ عليه[١] مكانه بما ينفس على صاحب السلطان ، ومحسودٌ كما يُحسَد . غير أنه يُجترأ عليه ، ولا يُجترأ على السلطان . لأنّ من حاسديه أحبّاء[٢] السلطان وأقاربه الذين يشاركونه فى المداخل والمنازل . وهم وغيرهم من عدوّه الذين هم حضّاره ليسوا كعدوّ السلطان النائى عنه والمكتتم منه . وهم لا ينقطع

---

١ محسود عليه ٢ كذلك وردت بالباء المشددة فى أكثر النسخ ولكن زكى باشا عدل عنها الي (احياء) بالتحتية زاعماً أن الاحباء لا يتقدمون فى الذكر على الاقارب وأما نحن فانا نري الاحباء فى أول مراتب الذكر ولا سيما لدي السلطان الذى لا يخفى على أحد ما يكنه الاهل والاقارب له




طمعهم من الظفر به ، فلا يغفلون عن نصب الحبائل له

فاعرف هذه الحال ، والبس لهؤلاء القوم - الذين هم أعداؤك - سلاحَ الصحة والاستقامة ولزومَ المحجة فيما تُسرّ وتعلن . ثم روّح عن قلبك حتى كأنك لا عدوّ لك ولا حاسد

وإن ذكرك ذاكرٌ عند السلطان بسوء في وجهك أو في غيبتك فلا يرينّ السلطانُ ولا غيرُه منك اختلاطا لذلك ولا اغتياظا ولا ضجراً ، ولا يقعنّ ذلك في نفسك موقعَ ما يكرثك[1] فانه إن وقع منك ذلك الموقع ، أدخل عليك أموراً مشتبهة بالريبة ، مذكِّرة لما قال فيك العائبُ . وإن اضطرك الأمرُ في ذلك إلى الجواب فإياك وجوابَ الغضب والانتقام ، وعليك بجواب الحجة في حلمٍ ووقار

ولا تشكّنّ في أنّ الغلبة والقوة للحليم أبداً

---

١ يضجرك ويحزنك

(٢٩) مطلب

(فى حض الوزير على التحفظ فى القول والحرص على الاجابة)

لا تتكلمنَّ عند الوالى كلاما أبداً إلا لعناية ، أو يكون جواباً لشيء سُئِلْتَ عنه . ولا تُحضِرَنَّ عند الوالى كلاما أبداً لا تُعنَى به ، أو تُؤمَر بحضوره

ولا تَعُدَّنَّ شَتمَ الوالِي شتماً ، ولا إغلاظَهُ إغلاظاً ، فان ريحَ العِزّة قد تَبْسُطُ اللسانَ بالغِلْظة فى غير سَخَطٍ ولا بأس

(٣٠) مطلب

(في مجانبة المسخوط عليه من السلطان حتى يتوب فتشفع له)

جانِبْ المسخوط عليه والظنينَ[١] به عند السلطان .

ولا يجمعنك وإياه مجلسٌ ولا منزلٌ ، ولا تُظهِرنّ له عُذْرا ، ولا تُثْنِيَنَّ عليه خيراً عند أحد من الناس

فاذا رأيته قد بَلَغ من الإعتاب[٢] مما سُخِط عليه فيه ما ترجو أن تُلِينَ له به قلبَ الوالى ، واستَيقنْتَ أنّ الوالى قد

١ الظنين : المتهم من الظنة بالكسر وهى التهمة

٢ من قولهم اعتبني فلان اذا عاد الى مسرتى راجعا عن الاساءة

استيقن بمباعدتك اياه وشدتك عليه عند الناس فضع عذره عند الوالى واعمل فى إرضائه عنه فى رفق ولطف

(٣١) مطلب

(في خضوع الوزير للسلطان الا فيما يكرهه الدين والعرض والمروءة)

ليعلم الوالى أنك لا تستنكف عن شيء من خدمته. ولا تدع مع ذلك أن تقدم إليه القول - على بعض حالات رضاه وطيب نفسه - فى الاستعفاء من الأعمال التى هى أهل أن يكرهها ذو الدين وذو العقل وذو العرض وذو المروءة: من ولاية القتل والعذاب وأشباه ذلك

وإذا أصبت الجاه والخاصة عند السلطان ، فلا يحدثن لك ذلك تغيراً على أحد من أهله وأعوانه ، ولا استغناء عنهم فانك لا تدرى متى ترى أدنى جفوة أو تغير فتذل لهم فيها وفى تلون الحال عند ذلك من العار ما فيه

ليكن مما تحكم من أمرك ألا تسار أحداً من الناس ولا تهمس إليه بشيء تخفيه على السلطان أو تعلنه. فان




السِّرَار مما يُخَيِّلُ إلى كل من رآه من ذى سلطان أوغيره أنه المرادُ به . فيكون ذلك فى نفسه حَسِيكةً[١] ووَغراً وثُقْلاً

(٣٢) مطلبٌ

(فى تجنب الكذبة وتنكب التظاهر بالعمل لدي السلطان)

لاَ تتهاونَنَّ بإرسال الكَذْبَةِ عندالوالى أوغيره فى الهزل، فإنها تُسرع فى إبطال الحقّ وردّ الصدق مما تأتى به

تنكَّبْ[٢] فيما بينك وبين السلطان ، وفيما بينك وبين الإخوان خُلُقاً قدعَرَفناه فى بعض الوزراء والأعوان وأصحاب الابَّهات فى ادعاء الرجلِ ـ عندما يَظْهَرُ من صاحبه حُسْن أثر أو صوابُ رأى ـ أنّه عَمِلَ فى ذلك وأشار به ، وإقراره بذلك إذا مدحه به مادحٌ . وإن آستطعتَ أن تُعرّف صاحبك أَنك تَنْحَلُهُ[٣] صوابَ رأيك ـ فضلاً عن أن تدّعىَ صوابَهُ ـ وتسندَ ذلك إليه وتزيّنَهُ به فافعل

١ الحسيكة : الحقد والعداوة . واما الوغر فشدة الغيظ ،من الوغرة التى هى شدة توقد الحر ٢ اي تجنب
٣ من قولهم نحلته القول : اضفته اليه دون أن يكون له فيه أثر




فإنَّ الذى أنت آخذ بذلك أكثرُ مما أنت مُعطٍ بأَضعافٍ

(٣٣) مطلب

(فى التحذير من الاجابة عن سؤال وجه الى غيرك)

اذا سأل الوالى غيرَكَ فلا تكونَنَّ أنت المُجيبَ عنه. فإن آستلابك الكلامَ خِفَّةٌ بك وآستخفاف منك بالمسؤُول وبالسائل

وما أنت قائلٌ ؟ إن قال لك السائلُ ما إياكَ سألتُ، أو قال لك المسؤُول عند المسألة يُعادُ له بها : دونك فأجِب.

وإِذا لم يقصد السائل فى المسألةِ لرجل واحد وعمَّ بها جماعةً مَن عنده فلا تُبَادرَنَّ بالجواب ، ولا تُسابِقِ الجلساءَ، ولا تُواثِبْ بالكلام مُواثبَةً . فإِنَّ ذلك يجمعُ مع الشَّينِ التكلُّفَ والخِفَّةَ

فإنّك إِذا سبقتَ القومَ إِلى الكلام صاروا لِكلامِكَ خُصَمَاءَ فتعقبوه بالعيب والطعْن. وإِذا أنتَ لم تعجَل بالجواب




وخلّيتَه للقوم ، اعترضتَ أقاويلهم على عينك ، ثم تدبّرتها وفكّرت فيما عندك ، ثم هيّأتَ من تفكيرك ومحاسنِ ما سمعتَ جواباً رضياً ، ثم استدبرتَ به أقاويلهم حين تصيخُ إليك الأسماعُ ويهدأ عنك الخصومُ

وإن لم يبلغك الكلامُ حتى يُكتفَى بغيرك ، أو ينقطعَ الحديث قبلَ ذلك فلا يكونُ من العيبِ عندك ولا من الغَبْنِ فى نفسك فوْتُ ما فاتك من الجواب

فإنّ صيانةَ القول خيرٌ من سوءِ وضعه ، وإنّ كلمةً واحدةً من الصّواب تُصيبُ موضعها خيرٌ من مائةِ كلمة تقولها فى غير فُرَصِها ومواضعها . مع أنّ كلامَ العَجلة والبدارِ موكّلٌ به الزّلل وسوء التقدير ، وإن ظنّ صاحبه أنّه قد أتقنَ وأحكمَ

واعلم أنّ هذه الأمور لا تُدرَك ولا تُملَك إلا برُحبِ الذّرْعِ عندما قيل وما لم يُقَل ، وقلّةِ الإعظام لما ظهر من المروءة وما لم يظهر ، وسخاوةِ النفس عن كثيرٍ من الصّواب مخافةَ

الخلاف ومَخافة العَجلَة ومَخافَة الحَسَد ومَخافَة المِرَاء

(٣٤) مطلب

(في آداب الاستماع)

إذا كلمَّك الوالى فأصغِ إلى كلامه. ولا تَشغَل طَرْفَك[١] عنه بنظر إلى غيره، ولا أطرافَك[٢] بعمل، ولا قلبك بحديث نفس.

واحذر هذه الخصلَة من نفسك، وتعاهدْها بجهدك

(٣٥) مطلب

(في حث الوزير على مصانعة نظرائه)

اُرفُقْ بنُظَرائك من وزراء السلطان وأخِلائِهِ ودُخلائِهِ. واتَّخِذهم إخوانًا، ولا تتَّخذهم أعداءً. ولا تنافِسهم فى الكلِمة يتقرَّبون بها أو العمل يُؤمَرُون به دُونك

فإنَّما أنت فى ذلك أحدُ رَجُلين :

إمَّا أن يكونَ عندكَ فَضلٌ على ما عندَ غيرِكَ فسوف

١ الطرف: العين ٢ جمع طرف بفتحين وهو من البدن اليدان والرجلان والرأس




يَبْدُو ذلك ويُحتاج إليه ويُلتَمسُ منك، وأنتَ مُجْمِل

وإمَّا ألاّ يكونَ ذلك عندك ، فما أنتَ مُصيبٌ من حاجتك عند وزراء السلطان بمُقارَبتِك ومُلاءَمتِك إيّاهم ومُلايَنَتِك

وما أنتَ واجدٌ في موافقتِك إيّاهم ولِينك لهم من مُوافقتِهم إياك ولِينهم لك أَفْضَلُ ممّا أنت مُدْرِكٌ بالمنافسة والمنافرة لهم

لا تجتَرِئَنّ على خِلاف أَصحابِك عند الوالى ، ثِقةً باَعترافهم لك ومعرفتِهم بفضل رأيك

فإِنّا قد رأَينا الناسَ يَعترِفون بفضل الرجُل وينقادون له ويتعلمون منه، وهم أَخِلّاء[١] . فإِذا حضَرُوا السلطانَ ، لم يَرْضَ أَحدٌ منهم أنْ يُقِرَّ له ، ولا أَنْ يكونَ له عليه في الرأى والعلم فضلٌ ، فاَجترَأوا عليه بالخِلاف والنَّقْض[٢]

فإِنْ ناقضهم صار كأحدِهم . وليس بواجدٍ في كل حِين

---

١ جمع خلى   ٢ النقض : المناقضة

سامعاً فهماً أو قاضياً عدلاً

وإن تركك مناقضتهم، كان مغلوب الرأى مردود القول

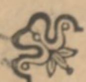
(٣٦) مطلب

(في تحذير جليس السلطان من الاستئثار بصحبته)

إذا أصبت عند السلطان لطف منزلة ـ لغناء [1] يجده عندك أو هوى يكون له فيك، فلا تطمحن كل الطماح ولا تزينن لك نفسك المزايلة [2] له عن أليفه وموضع ثقته وسره قبلك: تريد أن تقلعه وتدخل دونه. فإن هذه خلة من خلال السفه قد يبتلى بها الحلماء عند الدنو من السلطان حتى يحدث الرجل منهم نفسه أن يكون دون الأهل والولد، لفضل يظنه بنفسه أو نقص يظنه بغيره

ولكل رجل من الملوك أو ذوى هيئة من السوقة أليف وأنيس قد عرف روحه واطلع على قلبه. فليست عليه مؤونة فى تبذل يتبذله عنده، أو رأى يستبين منه، أوسر

١ لكفاية ٢ المفارقة




يُفشيه إليه. غير أن تلك الأَنَسَةَ[١] وذلك الإِلف يستخرج من كلّ واحد منهما ما لم يكن ليظهر منه عند الانقباض والتشدّد. ولو التمس ملتمسٌ مثل ذلك عند من يستأنف ملاطفته ومؤانسته ومناسمته[٢] - وإن كان ذا فضل فى الرأى وبسطةٍ فى العلم - لم يجد عنده مثل ما هو منتفعٌ به ممن هو دون ذلك فى الرأى ممن قد كُفِى مؤانسته ووقع على طباعه

لأنَّ الأنسةَ رَوْح[٣] للقلوب، وأنّ الوحشة رَوْع[٤] عليها. ولا يلتاط[٥] بالقلوب إلاّ ما لانَ عليها. ومن استقبل الأُنس بالوحشة استقبل أمراً ذا مؤونة

فإذا كلّفتك نفسك السُّموّ[٦] إلى منزلة مَن وصفتُ لك، فاقدعها[٧] عن ذلك بمعرفة فضل الأَليف والأنيس. وإذا حدّثتك نفسك أو غيرك ممن لعلّه أن يكون عنده فضل في مروءة - أنك أولى بالمنزلة عند السلطان من بعض دُخلائه

١ الانسة بالتحريك : ضد الوحشة ٢ المناسمة: المسارة ٣ الروح بالفتح : الراحة ٤ الروع : الفزع ٥ يلتصق ٦ السمو : مفعول آخر لكاف لان الفعل ينصب اثنين بنفسه أولهما الكاف ٧ اقدعها :أمنعها واكففها. والفعل كمنع

وثِقاته فاذكُرِ الذى على السلطان من حقّ أليفه وثقته وأَنيسه فى التكرمة والمكانة والرأى ، والذى يُعينه على ذلك من الرأى أنه يَجِدُ عنده من الألف والأنس ما ليس واجداً عند غيره

فليكنْ هذا مما تحفَّظُ فيه على نفسك وتعرِفُ فيه عذر السلطان ورأيه

والرأىُ لنفسك مِثْلُ ذلك، إنْ أرادك مُريدٌ على الدخول دون أليفك وأنيسك وموضع ثقتك وسِرّكِ وجِدّكِ وهزلك

واعلمْ أنه يكاد يكون لكل رجل غالبة حديث لا يزال يُحَدِّثُ به : إمّا عن بلد من البُلدان أو ضَرْبٍ من ضروب العلم أو صِنْفٍ من صنوف الناس أو وجه من وجوه الرأى. وعندما يُغْرَمُ به[1] الرجل من ذلك يبدُو منه السُّخْفُ[2] ويُعرَف منه الهوى

فاجتنبْ ذلك فى كل موطنٍ، ثمَّ عند السلطان خاصَّةً

---

١ يولع به ويفتن   ٢ نقص العقل

(٣٧) مطلب

(فى كتمان ما تكرهه من رأي السلطان)

لا تَشكُوَنَّ إلى وزراء السلطان ودُخلائِه ما اطَّلعتَ عليه من رأى تَكرَهُهُ له. فإنّك لا تَزيد على أنْ تفطِّنهم لهواه أو تُقرِّبَهم منه وتُغرِيَهُم بتَزيِينِ ذلك والمَيْلِ عليك معه

واعلمْ أنّ الرجُلَ ذا الجاه عند السلطان والخاصة لا مَحَالَة أنْ يَرى من الوالى ما يخالفه من الرّأى فى الناس والامور. فاذا آثر[1] أن يَكْرَهَ كلّ ما خالفه. أوشك أن يمتعِضَ[2] من الجفْوَة يراها فى المجلس، أو النبْوَة فى الحاجة، أو الرّدّ للرأى، أو الإدناء لمن لا يهوَى إدناءَه، أو الإقصاءِ لمن يكرَهُ إقصاءَه

فاذا وقعتْ فى قلبه الكراهِيَةُ تغيّر لذلك وجهُه ورأيه وكلامه حتى يبدُوَ ذلك للسلطان وغيرِه، فيكون ذلك لفساد منزلته ومُرُوءَته سببًا وداعيًا

فَذلِّلْ نفسَك باحتمال ما خالفك من رأى السلطان ،

---

١ آثر : اصطفى واختار   ٢ أي يغضب

وقررها على أن السلطان إنما كان سلطاناً لتتبعه في رأيه وهواه وأمره، ولا تكلفه اتباعك وتغضب من خلافه إياك

(٣٨) مطلب

(فى حث الوزير على تصحيح النصيحة)

اعلم أن السلطان يقبل من الوزراء التبخيل [١] ويعده منهم شفقة ونظراً له، ويحمدهم عليه

فإن كان جواداً وكنت مبخلاً، شنت صاحبك بفساد مروءته، وإن كنت مسخياً [٢] لم تأمن إضرار ذلك بمنزلتك عنده

فالرأي لك تصحيح النصيحة على وجهها، والتماس المخلص من العيب واللائمة فيما تترك من تبخيل صاحبك بألا يعرف منك فيما تدعوه إليه ميلا إلى شيء من هواك ولا طلبا لغير ما ترجو أن يزينه وينفعه

---

١ يريد ان السلطان يهوي من الوزراء من يحبب اليه البخل ويزين له التقتير
٢ أي محبباً في الكرم والسخاء

(٣٩) مطلب

(فى ان الطالب لصحبة الملوك لا يفلح حتى يشايعهم ويمالئهم)

لا تكونَنَّ صحبتُك للملوك[١] إلاّ بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم فى المكروه عندَك ، وموافقتِهم فيما خالفك ، وتقديرِ الأُمور على أهوائهم دونَ هواك ، وعلى ألاّ تكتُمَهم سرَّك ولا تستطلِعَ ما كتموك ، وتُخفِي ما أطلعوك عليه على الناس كلهم حتى تحمِيَ نفسك الحديث به ، وعلى الاجتهاد فى رضاهم ، والتلطُّف لحاجتهم ، والتثبيت لحُجّتهم ، والتصديق لمقالتهم ، والتزيين لرأيهم ، وعلى قلة الاستقباح لما فعلوا إذا أساءوا ، وترك الانتحال[٢] لما فعلوا إذا أَحسنوا ، وكثرة النشر لمحاسنهم ، وحُسْن السَّتْر لمساويهم ، والمقاربةِ لمن قارَبُوا وإِن كانوا بُعَدَاءَ ، والمباعدة لمن باعدوا وإن كانوا أقرباء ، والاهتمام بِأمرهم وإنْ لم يهتمُّوا به ، والحفظِ لهم وإن ضيَّعُوه ، والذكرِ لهم وإن نَسُوه ، والتخفيفِ

١ اى تذليل ٢ يريد ان احسنوا فلا تنسب ذلك الي نفسك دونهم

عنهم من مؤونتك ، والاحتمال لهم كلَّ مؤونةٍ ، والرضى منهم بالعفو ، وقلةِ الرضى من نفسك لهم إلا بالاجتهاد

وإنْ وجدتَ عنهم وعن صحبتهم غنًى ، فأغنِ عن ذلك نفسك واعتزله جهدَك

فإنَّ من يأخذُ عملهم بحقه ، يُحَلْ بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة . ومَنْ لا يأخذُ بحقه، يحتمل الفضيحةَ فى الدنيا والوِزرَ فى الآخرة

(٤٠) مطلبٌ

(فى مضار صحبة السلاطين)

إنّك لاتأمَنُ أنَفةَ[1] الملوك إنْ علمتهم ، ولا تأمن عقوبتهم إن كتمتهم ، ولا تأمن غضبتهم إن صدقتهم ، ولا تأمَنُ سَلوَتهم[2] إنْ حدَّثتهم وإنّك إنْ لزِمتهم لم تأمَنْ تبرُّمهم بك ، وإنْ زايلتهم[3] لم تأمَنْ عقابهم، وإن تستأمرهم حملتَ المؤونة عليهم، وإنْ قطعتَ الأمر دونهم لم تأمَنْ فيه مخالفتهم. إنهم إن

---

١ الانفة بالتحريك وكذلك الانف : الاستنكاف ٢ السلوة: التبرم والملل
٣ زايل : فارق

سخطوا عليك أهلكوك، وإنْ رَضُوا عنك تكلَّفت لرضاهم ما لا تُطيق

فإنْ كنتَ حافظا إنْ بَلَوْكَ، جَلدا إنْ قرَّبوكَ، أميناً إن ائتمنوكَ: تُعَلِّمُهُم وأنت تُريهم أنك تتعلم منهم، وتؤدِّبُهم وكأنهم يؤدِّبونك: تشكُرُهم ولا تُكلِّفُهم الشكرَ، بصيراً بأهوائهم، مُؤْثِراً لمنافعهم، ذليلا إنْ ظلموكَ، راضياً إن أسخطوكَ[1]، وإلاَّ فالبُعدَ منهم كلَّ البُعْدِ والحَذَرَ منهم كل الحَذَر

(٤١) مطلب

(فى التحذير من الاغترار بالسلطان والمال والعلم والجاه والشباب)

تحرَّز من سُكر السلطان وسُكر المال وسُكر العلم وسُكر المنزِلة وسُكر الشباب. فانه ليس من هذا شئ إلا وهو ريح جِنة تَسلب[2] العقل وتَذهَب بالوقار وتَصرِف القلبَ والسمعَ والبصرَ واللسان إلى غير المنافع

---

١ جواب ان محذوف يفهم من المقام   ٢ الجنة بالكسر: الجنون

المقالة الثانية

(فى الاصدقاء)

(٤٢) مطلب

(في معاملة الناس)

أُبْذُلْ لصديقك دَمَكَ ومالَكَ ، ولمعرفتك [1] رِفْدَكَ [2] ومَحْضَرَكَ ، وللعامّة بشْرَك وتحنُّنَكَ ، ولعدوك عَدْلك وإِنصافَك

واضْنَنْ بدِينك وعِرْضِك على كلّ أحد

(٤٣) مطلب

(في تحذير المرء من انتحاله رأى غيره)

إِنْ سمعتَ من صاحبك كلاما أو رأيتَ منه رأيا يُعجبُك فلا تنتحِلْهُ تَزَيُّناً به عند الناس . واكتفِ من التزيُّن بأن تجتني الصّواب إِذا سمِعْته ، وتنسُبَه إِلى صاحبه

واعلم أنّ انتحالك ذلك مَسْخَطَةٌ لصاحبك ، وأنّ فيه مع ذلك عاراً وسُخْفا

١ المعرفة : المعارف ٢ الرفد بالكسر : العطاء

فإن بلغ بك ذلك أن تشير برأى الرجل وتتكلم بكلامه وهو يسمع جمعت مع الظلم قلة الحياء . وهذا من سوء الأدب الفاشى فى الناس

ومن تمام حسن الخلق والأدب فى هذا الباب أن تسخو نفسك لأخيك بما انتحل من كلامك ورأيك ، وتنسب إليه رأيه وكلامه ، وتزينه مع ذلك ما استطعت

ولا يكونن من خلقك أن تبتدئ حديثا ثم تقطعه وتقول: سوف ، كأنك روأت [1] فيه بعد ابتدائك إياه . وليكن ترويك فيه قبل التفوه به . فان احتجان [2] الحديث بعد افتتاحه سخف وغم

(٤٤) مطلب

(فى الحض على تخير المواضع لرأيك)

اخزن عقلك وكلامك إلا عند إصابة الموضع . فإنه ليس فى كل حين يحسن كل صواب . وإنما تمام إصابة الرأى والقول

---

١ روأ فى الامر بالهمز : اذا نظر فيه وتدبره ومنه الروية من غير همز : وهى الفكر مع التدبر ٢ من قولهم احتجن المال : ضمه الى نفسه وأمسكه

باصابة الموضع . فإن أخطأك ذلك أدخلت المحنة [1] على عقلك وقولك حتى تأتى فى موضعه. وإن أتيت به فى غير موضعه، أتيت به وهو لا بهاء ولا طلاوة له

وليعرف العلماء حين تجالسهم أنك على أن تسمع أحرص منك على أن تقول

(٤٥) مطلب

(فى تجنب الهزل ولو كان مزاحا ما لم تكبت به عدوا)

إن آثرت أن تفاخر أحدا ممن تستأنس اليه فى لهو الحديث فاجعل غاية ذلك الجد، ولا تعتد أن تتكلم فيه بما كان هزلا . فاذا بلغه أو قاربه فدعه

ولا تخلطن بالجد هزلا، ولا بالهزل جدا. فانك إن خلطت بالجد هزلا هجنته، وإن خلطت بالهزل جدا كدرته

غير أنى قد علمت موطنا واحدا إن قدرت أن تستقبل فيه الجد بالهزل أصبت الرأى وظهرت على الأقران : وذلك

أن يتوردك[1] متوردٌ بالسفه والغضب وسوء اللفظ، فتجيبه إجابة الهازل المداعب، برحبٍ من الذرع، وطلاقةٍ من الوجه وثباتٍ من المنطق

(٤٦) مطلب

(فى ان لا خوف عليك من اخى الثقة أن يخالط العدو)

إن رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبنك ذلك . فإنما هو أحد رجلين

إن كان رجلا من إخوان الثقة فأنفع مواطنه لك أقربها من عدوك : لشرٍ يكفه عنك ، أو لعورة يسترها منك ، أو غائبة يطلع عليها لك . فأما صديقك فما أغناك أن يحضره ذو ثقتك

وإن كان رجلاً من غير خاصة إخوانك فبأىّ حق تقطعه عن الناس وتكلفه ألاّ يصاحبَ ولا يجالسَ إلا من تهوى

تحفظ فى مجلسك وكلامك من التطاول على الأصحاب ،

---

١ يقال تورده : طلب وروده وحضوره

وطِبْ نفساً عن كثير ممّا يعرِض لك فيه صوابُ القول والرأى، مداراةً لأنْ يظُنَّ أصحابك أنّك انما تُريد التطاول عليهم

مطلب (٤٧)

(في التحفظ من الصديق المقبل بوده)

إذا أقبل إليك مُقبلٌ بوُدِّه فسرَّك ألاّ يُدْبِرَ عنك . فلا تُنْعِمِ الإقبالَ عليه والتفتُّحَ له. فانّ الإنسان طُبِع على ضرائبِ لُؤْم . فمن شأنِه أنْ يرحَلَ عمن لَصِقَ به . ويلصقَ بمن رَحَل عنه . إلا مَن حفِظ بالأدب نفسَه وكابر طبعَه

فتحفَّظْ من هذا فيك وفى غيرك

مطلب (٤٨)

(فى ان الدعى لا محالة مفضوح)

لا تُكثِرَنَّ ادّعاءَ العلم فى كلّ ما يعرِض بينك وبين أصحابك فانّك من ذلك بين فضيحتَيْن

إما أن ينازعوك فيما ادّعيتَ، فيهجم منك على الجهالة والصَّلَف[1]

وإما ألاّ ينازعوك ويُخَلُّوا فى يديك ما ادّعيتَ من الأمور . فينكشفَ منك التصنّع والمَعْجَزَة

واستحِ الحياءَ كلّه من أن تخبرَ صاحبك أنّك عالمٌ وأنه جاهلٌ : مُصرِّحا أو مُعرِّضا

وإنِ استطلتَ على الأكفاء فلا تثقِنَّ منهم بالصفاء

وإنْ آنستَ من نفسك فضلا فتحرَّجْ أن تذكُرَهُ أو تُبدِيَهُ. واعلمْ أنّ ظهورَه منك بذلك الوجه يقرِّر لك فى قلوب الناس من العيب أكثرَ مما يقرّر لك من الفضل

واعلمْ أنك إنْ صبَرْتَ ولم تعجَلْ ظهر ذلك منك بالوجه الجميل المعروف عند الناس

ولا يَخفَيَنَّ عليك أنّ حِرصَ الرجل على إظهار ماعنده وقِلّةَ وقاره فى ذلك بابٌ من أبواب البخل واللؤم

---

١ الصلف بالتحريك : العجب ومجاوزة حد الظرف

وأنَّ مِن خيرِ الأعوان على ذلك السخاءَ والتكرُّمَ

وإِن أردتَ أن تلبسَ ثوبَ الوقار والجمال وتتحلَّى بحليةِ المودّة عند العامّة وتسلك الجَدَدَ[1] الذى لا خَبارَ[2] فيه ولا عِثارَ فكنْ عالما كجاهل وناطقا كَعيّ

فأَمّا العلم فيزينك ويرشدك. وأمّا قِلّة ادّعائه فينفى عنك الحسدَ. وأَما المنطق (إِذا احتجت إِليه) فيبلغك حاجتك، وأَما الصمت فيَكسبك المحبة والوقار

وإِذا رأيت رجلاً يحدِّث حديثاً قد علمتَه أو يُخبِر خبراً قد سَمعتَه فلا تشاركه فيه ولا تتعقّبه عليه، حرصا على أن يَعلم الناس أَنك قد علمتَه، فإِنّ فى ذلك خِفةً وشُحّا وسوءَ أدب وسُخفا

وليَعرِف إِخوانُك والعامّةُ أنك (إِنِ استطعتَ) إلى أن تفعل مالا تقول أقربُ منك إلى أَن تقول مالا تفعل فان فضلَ القول على الفعل عارٌ وهُجنةٌ، وفضلَ الفعل على القول زينةٌ

---

[1] الجدد: الطريق [2] الخبار بالفتح: الارض الرخوة يصعب سلوكها

وأَنت حقيقٌ فيما وعدتَ من نفسك أو أخبرتَ به صاحبك أن تحتجن بعض ما فى نفسك ، إعداداً لفضل الفعل على القول، وتحرُّزاً بذلك عن تقصير فعل إن قصّر . وقلما يكون إلا مقصِّراً

(٤٩) مطلب

(فى ان واجب المرء نحو عدوه العدل ونحو صديقه الرضاء)

احفظ قول الحكيم الذى قال: لِتكنْ غايتُك فيما بينك وبين عدوّك العدلَ ، وفيما بينك وبين صديقك الرضاءَ

وذلك أَنّ العدوّ خَصمٌ تَصْرَعُه بالحجّة وتغلِبُه بالحكام ، وأن الصديق ليس بينك وبينه قاض ، فانّما حَكَمُه رضاه

(٥٠) مطلب

(فى التثبت من الصديق قبل الاقدام عليه)

اِجعلْ غاية تشَبُّثك فى مؤاخاة من تؤاخى ومواصلة من تواصل توطينَ نفسك على أَنه لا سبيلَ لك إلى قطيعة أَخيك، وإِن ظهر لك منه ما تكرَه . فانه ليس كالمملوك الذى تُعتقه

متى شئتَ، أو كالمرأة التي تُطلّقها اذاشئتَ، ولكنّه عِرضُك ومُرُوءَتُك. فانما مُرُوءة الرجل إخوانه وأخدانه. فإنْ عَثَرَ الناس على أَنك قطعتَ رجلا من إِخوانك (وإِن كنت مُعذِراً) نزل ذلك عند أَكثرهم بمنزلة الخيانة للإِخاء والمَلال فيه. وإِن أَنت مع ذلك تصبَّرْتَ على مُقارَّته علي غير الرضى عاد ذلك إِلى العيب والنقيصة

فالاتّئاد الاتّئاد! والتثبُّتَ التثبُّتَ!

وإِذا نظرتَ فى حال من ترتئيه لإِخائك، فإِنْ كان من إِخوان الدين فليكن فقيهاً غير مُراءٍ ولا حريصٍ، وإِن كان من إِخوان الدنيا فليكن حرًّا ليس بجاهل ولا كذاب ولا شِرّيرٍ ولا مشنوعٍ [1]

فإِنّ الجاهلَ أَهلٌ أَنْ يَهرُبَ منه أَبَوَاه. وانّ الكذّاب لا يكون أَخاً صادقاً. لأن الكَذِب الذى يجرى على لسانه إِنما هو من فضول كَذِب قلبه (وإِنما سمى الصِّديق من الصدق.

---

[1] المشنوع: الذى يجر على نفسه ما جلب التشنيع والتعيير

وقد يتهم صِدق القلب وإنْ صدَقَ اللسان . فكيف إذا ظهر الكذب على اللسان ؟). وإن الشرير يكسبُك العدوّ . ولا حاجة لك فى صداقةٍ تجلب العداوة . وإن المشنوع شانعٌ[1] صاحبَهُ

واعلمْ أنّ انقباضك عن الناس يكسبك العداوة . وأنّ انبساطك إليهم يكسبك صديق السوء . وسوءُ الأصدقاء أضرُّ من بُغْض الأعداء . فإنك إنْ واصلتَ صديق السوء أعيَتْك جرائرُه[2] . وإن قطعتَهُ شانَك اسْمُ القطيعة ، وألزمَكَ ذلك مَن يرفع عيبَك ولا ينشرُ عُذْرَك . فإن المعايب تَنمى والمعاذيرَ لا تنمِي

(٥٦) مطلب

(فيما ينبغى للعاقل أن يسلكه ازاء العامة والخاصة)

البَسْ للناس لباسَيْنِ ليس للعاقل بُدٌّ منهما . ولا عيشَ ولا مُرُوءَةَ إلا بهما :

---

١ فاضح ٢ الانبساط : ضد الانقباض ويريد البعد والقرب ١ الجرائر جمع جريرة وهى ما يجنيه الرجل على نفسه او غيره

لباسَ انقباض واحتجاز من الناس، تلبَسُهُ للعامّة فلا يلقَونك إلا متحفِّظا متشدِّدا متحرِّزا مستعِدًّا

ولباسَ انبساط واستئناس، تلبَسُهُ للخاصّة الثقات من أَصدقائك. فتلقاهم بذات صدرك وتُفضِي إليهم بمصون حديثك وتضع عنك مؤونة الحَذَر والتحفُّظ فيما بينك وبينهم

وأَهل هذه الطبقة (الذين هم أَهلها) قليلٌ من قليلٍ حقًا. لأن ذا الرأى لا يُدخِل أَحدا من نفسه هذا المَدْخَلَ إلا بعد الاختبار والتكشُّف والثقة بصدق النصيحة ووفاء العهد

(٥٢) **مطلب**

(فيما ينبغى للعاقل أن يغلبه على لسانه)

إعلم أن لسانك أداةٌ مُصْلَتَةٌ، يتغالب عليه عقلك وغضبك وهواك وجهلك. فكلّ غالب عليه مستمعٌ به وصارفه فى محبته. فاذا غلب عليه عقلك فهو لك، وإن غلب عليه شىءٌ من أشباه ما سمّيتُ لك فهو لعدوك

فإنِ استطعتَ أَن تحتفظ به وتصونه فلا يكون إلا لك،

ولا يستولي عليه أو يشاركك فيه عدوك فافعل

(٥٣) **مطلب**

(في الحض على مؤاساة الصديق عند النوائب)

إذا نابت أخاك إحدى النوائب من زوال نعمة أو نزول بلية، فاعلم أنك قد ابتليت معه: إما بالمؤاساة فتشاركه فى البليه، وإما بالخذلان فتحتمل العار

فالتمس المخرج عند أشباه ذلك، وآثر مروءتك على ماسواها

فإن نزلت الجائحة التى تأبى نفسك مشاركة أخيك فيها فأجمل [1]. فلعل الإجمال يسعك، لقلة الإجمال فى الناس

(٥٤) **مطلب**

(ينبغى لصديق السلطان ألا يدل عليه بقدمه)

إذا أصاب أخوك فضل منزلة أو سلطان فلا ترينه أن سلطانه قد زادك له ودًا، ولا يعرفن منك عليه بماضى إخائك

---

١ يريدا صنع الجميل

تدللاً . وأَرِهِ أنّ سلطانه زادكَ له توقيراً وإجلالاً من غير أن يقدِر أن يزيده وُدًّا ولا نُصحا ، وأنك ترَى حقا للسلطان التوقيرَ والإجلال . فكُنْ فى المداراة له والرفق به كالمؤتنف لما قبله . ولا تقدِّر الأمور فيما بينك وبينه على شىء مما كنت تعرِف من أخلاقه فإنَّ الأخلاقَ مستحيلة [١] مع السلطان . وربما رأينا الرجل المُدِلّ على السلطان بِقِدَمِه قد أضرّ به قِدَمُه

(٥٥) مطلب

(فيمن يجوز أن تعتذر اليه أو تحدثه)

لا تعتذرنَّ إلاَّ إلى مَن يُحبُّ أنْ يجد لك عذرا ، ولا تستعينَنَّ إلا بمن يُحِب أنْ يُظفِرَكَ [٢] بحاجتك ، ولا تُحدِّثَنَّ إلا مَن يرى حديثك مَغْنَماً ، ما لم يغلِبْك اضطرارٌ

وإذا اعتذر إليك معتذرٌ ، فتلقَّهُ بوجهٍ مُشْرِقٍ وبِشرٍ ولسان طلقٍ [٣] إلا أنْ يكون ممن قطيعته غنيمة

---

١ أى من شأنها الانتقال والتحول من قولهم : استحالت الارض اعوجت وخرجت عن الاستواء ٢ من الظفر بالتحريك وهو الفوز بالمطلوب وتقول منه اظفرنى فلان بكذا وعلى كذا اعاننى على الفوز بمطلوبى ٣ ش : طليق

إذا غَرَسْتَ من المعروف غَرسا وأنفقت عليه نفقةً فلا تَضِنَّنَّ فى تربية ما غَرستَ واستنمائه ، فتذهبَ النفقة الأولى ضَياعا[١]

(٥٥) مطلب

(في الحرص على اتحاد الاخوان وتعهد المعروف)

اِعلمْ أنّ اِخوان الصدق هم خير مكاسب[٢] الدنيا . هم زِينةٌ فى الرخاء ، وعُدَّةٌ فى الشدَّة ، ومعونةٌ على خير المعاش والمعاد . فلا تُفَرطَنَّ فى اكتسابهم وابتغاء الوُصُلات[٣] والأسباب إليهم

واعلمْ أنك واجدٌ رغبتك من الإخاء عند أقوام قد حالتْ بينك وبينهم بعض الأُبَّهة[٤] التى قد تعترى بعض أهل المروآت فتحجز عنهم كثيراً ممن يَرْغَب فى أمثالهم. فاذا رأيت

---

١ وقد كتب الشنقيطى فى نسخته ازاء هذا بخطه ما نصه

عندي حدائق ود غرس انعمكم ＊ قد مسها عطش فليسق من غرسا

تداركوها وفى أغصانها رمق ＊ فلن يعود اخضرار العود ان يبسا

٢ جمع مكسب وهو اسم لما يكتسبه الانسان من الرزق ٣ جمع وصلة بالضم وهى الاتصال ٤ الابهة كسكرة : العظمة والجلال

أحداً من أولئك قد عثَر به الدهر وعَرَفتَ نفسك أنه ليس عليك فى دُنُوّك منه وابتغائك مودّته وتواضعك له مذلّة ، فاغتنم ذلك منه واعمل فيه

مطلب (٥٦)

(في ان احياء المعروف بنسيانه والتصغير له)

إذا كانت لك عند أحد صنيعة [١] أو كان لك عليه طَوْل [٢] فالتمس إحياءَ ذلك بإماتته ، وتعظيمَه بالتصغير له . ولا تقتصرنّ فى قلة المنّ [٣] به على أن تقول : لا أذكرُهُ ولا أصغِى بسمعى إلى مَن يذكره . فان هذا قد يستحى منه بعض من لا يوصف بعقل ولا كرَم . ولكن احذَرْ أن يكون فى مجالستك إيّاه ، وما تُكلِمهُ به ، أو تستعينهُ عليه ، أو تُجاريه فيه شىءٌ من الاستطالة . فإنّ الاستطالة تهدِم الصنيعة وتُكدِّر المعروف

مطلب (٥٧)

(فى علاج انفعالات النفس والاحتراس منها)

احترسْ من سَوْرة الغضب وسَوْرة الحَمِيّة وسَوْرة

١ ما اصطنعته من الخير ٢ الفضل ٣ هو تعدادك النعم على من أحسنت اليه

الحقد وسَوْرة الجهل [١] وأعدِدْ لكلّ شيء من ذلك عُدَّةً تجاهده بها من الحلم، والتفكُّر، والرويَّة [٢]، وذكر العاقبة، وطلب الفضيلة

واعلمْ أنّك لا تُصيبُ الغَلَبة إلا بالاجتهاد والفضل، وأنّ قِلَّة الإعدادِ لمدافعة الطبائع المتطلعة هو الاستسلام لها. فانه ليس أحدٌ من الناس إلا وفيه من كل طبيعةٍ سوء غريزة. وإنما التفاضل بين الناس فى مغالبة طبائع السوء

فأَمّا أنْ يَسلمَ أحدٌ من أنْ تكون فيه تلك الغرائز فليس فى ذلك مطمعٌ. إلا أنّ الرجل القويّ إذا كابرها بالقمع [٣] لها كلما تطلَّعتْ لم يلبَث أنْ يُميتها حتى كأنها ليست فيه. وهى فى ذلك كامنة كُمونَ النار فى العُود. فإذا وَجدَتْ قادحا [٤] من علة، أوغفلةً استورتْ [٥] كما تستورى

١ الجهل هنا هو ضد العلم ٢ التفكر والتدبر وهى كلمة جرت على ألسنتهم بغير همز تخفيفا من روأت في الامر بالهمز : اذا نظرت فيه
٣ القهر والاذلال ٤ من قدح بالزند : رام اخراج ناره
٥ من الورى وهو اتقادها واستعارها

النار عند القدح ، ثم لا يبدأ ضرُّها إلا بصاحبها ، كما لا تبدأ النار إلا بعُودها الذى كانت فيه

(٥٨) مطلب

(فى الصبر على من يلازمك وبيان أنواعه ومعناه)

ذَلِّلْ نفسك بالصبر على جار السوء ، وعشير السوء ، وجليس السوء . فان ذلك مما لا يكاد يُخْطِئُك

واعلم أنَّ الصبر صبران : صبر المرء على ما يكرَهُ ، وصبره عما يُحِبّ

والصبر على المكروه أكبرهما [١] ، وأشبههما أن يكون صاحبه مُضْطَرًّا

واعلم أنّ اللئام أصبر أجساداً ، وأن الكرام هم أصبر نفوساً

وليس الصبر الممدوح بان يكون جِلدُ الرجل وَقَاحاً [٢] على الضرب ، أو رِجلُه قويّة على المشيِ ، أو يدُه قوية

١ ويروى : أكثرهما ٢ أي فيه صلابة وكثرة احتمال




على العمل . فانما هذا من صفات الحَمير

ولكنّ الصبر الممدوح أن يكون للنفس غَلُوبا ، وللأمور مُحتَمِلاً ، وفى الضرّاء متجمّلا [١] ، ولنفسه عند الرأى والحِفَاظِ [٢] مرتبطا [٣] ، وللحزم مُؤْثِراً ، وللهوَى تاركا ، وللمشقة التى يرجو حسن عاقبتها مستخفًا ، ولنفسه على مجاهدة الأهواء والشهوات مُوَطِّناً [٤] ، ولبصيرته بعزمه مُنفِّذاً [٥]

(٥٩) مطلب

(في ترغيب النفس فى العلم وبيان الانفع منه)

حبِّبْ إلى نفسك العلمَ حتى تلزمه وتألفه ، ويكون هو لهوَك ولذّتك وسَلْوَتك وتعلُّلك [٦] وشهوَتك

واعلم أن العلم علمان : علمٌ للمنافع ، وعلمٌ لتذكية [٧] العقول

---

١ من التجمل وهو التزين يريد انه لا يذل ولا يتخشع ولا يستكين
٢ الحفاظ : الغضب والاسم الحفيظة ٣ من الارتباط وهو تسكين النفس وتثبيتها ٤ يقال وطن نفسه على الامر توطينا : ذللها ومهدها لفعله
٥ ممضيا ، من انفذ الامر أوالقول : أمضاه وأبرمه ٦ تعلل بالامر : تشاغل وبالمرأة : تلهى ، وعلله بطعام وغيره : شغله به . والتعلة والعلالة بالضم : ما يتعلل به
٧ من الذكاء وهو سرعة الفهم

وأفشى العلمَين وأجداهما [١] أن يَنْشَطَ له صاحبه من غير أن يُحَضَّ عليه علمُ المنافع . والعلْمُ الذى هو ذكاء العقول وصِقالها وجلاؤُها فضيلةُ منزلةٍ عند أهل الفضيلة والألباب

(٦٠) مطلبٌ

(في اقسام السخاء وتحبيب النفس اليه)

عوِّدْ نفسكَ السخاءَ [٢]

واعلمْ أنه سخاآن : سَخاوةُ نفس الرجل بما فى يديه، وسخاوته [٣] عما فى أيدى الناس

وسَخاوة نفس الرجل بما فى يديه أكثرهما وأقربهما من أن تدخل فيه المفاخرة . وتركه ما فى أيدى الناس أمحضُ فى التكرُّم وأبرأُ من الدَّنَس وأنزه

فإنْ هو جمعهما فبَذَلَ وعفَّ فقد استكمل الجودوالكرم

---

١ أكثرهما ٢ الجودوالكرم ٣ يقال سخت نفسى عن كذا اذا تركته عن رغبة ومطاوعة

(٦١) مطلب

(في ذم الحسد وذكر ما ينجى منه)

ليكن مما تصرف به الأذى والعذاب عن نفسك ألاّ تكون حسوداً

فانّ الحسد[١] خُلُقٌ لئيمٌ. ومن لؤمه أنّه موكَّل[٢] بالأدنى فالأدنى من الأقارب والأكفاء والمعارف والخُلَطاء والإخوان

فليكن ما تعامل[٣] به الحسدَ أن تعلَمَ أن خير ماتكونُ حين تكون مع من هو خير منك ، وأنَّ غُنْما حسنا لك أن يكون عشيرك وخليطك أفضلَ منك فى العلم ، فتقتبسَ من علمه ، وأفضلَ منك فى القوّة ، فيدفعَ عنك بقوّته ، وأفضلَ منك فى المال ، فتُفيدَ[٤] من ماله ، وأفضلَ منك فى الجاه ، فتُصيبَ حاجتك بجاهه ، وأفضلَ منك فى الدِين ، فتزدادَ صلاحا بصلاحه

---

١ هو تمني أن تتحرل نعمة المحسود وفضيلته الي الحاسد أو يسلبهما

٢ ملازم ٣ لعله يريد فليكن ما تقابل به الحسد، أوتعالج الخوان كانت هذه الكلمة مستعملة فى عرف الامصار بمعني التصرف من بيع ونحوه ولم تكن في استعمال العرب ٤ أفاده واستفاده وتفيده بمعنى واحد وهو اقتناه

(٦٢) مطلب

(فى التحذير من أن تكاشف عدوك أو حاسدك بدخيلة نفسك)

ليكنْ مما تنظر فيه من أمر عدوّك وحاسدك أن تعلم أنه لا ينفعُك أنْ تخبر عدوّك وحاسدك أنّك له عدوٌّ ، فتنذِرَهُ بنفسك ، وتؤْذِنَهُ بحربك قبل الإعداد والفرصة ، فتحملَه على التسلُّح لك ، وتُوقِد ناره عليك

واعلمْ أنَّه أعظمُ لخَطَرِك[1] أنْ يرى عدوُّك أنّك لا تتّخذه عدوًّا . فإنّ ذلك غِرَّةٌ[2] له وسبيلٌ لك إلى القدرة عليه. فإنْ أنت قدرت واستطعت اغتفارَ العداوة عن أن تكافىء بها فهنالك استكملتَ عظيمَ الخَطَر

(٦٣) مطلب

(في مكافأة العدو وبيان الحيلة فى تفريق الناس عنه)

إنْ كنتَ مُكافئًا بالعداوة والضرر فإيّاك أنْ تكافىءَ عداوة السرّ بعداوة العلانِيَة . وعداوةَ الخاصّة بعداوة العامة

١ الخطر : الشرف ورفعة القدر   ٢ الغفلة




فإنَّ ذلك هو الظلم

واعلم مع ذلك أَنَّه ليس كل العداوة والضرر يكافأُ بمثله: كالخيانة لا تكافا بالخيانة . والسَّرِقة لا تكافأ بالسرقة

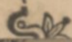
ومن الحيلة فى أمرك مع عدوّك أنْ تصادق أَصدقاءه وتؤَاخى إخوانه. فتَدْخُلَ بينه وبينهم فى سبيل الشقاق والتلاحى[١] والتجافى حتى ينتهى ذلك بهم إلى القطيعة والعداوة له . فإنّه ليس رجلٌ ذو طَرْق[٢] يمتنع من مؤَاخاتك إذا التمستَ ذلك منه . وإن كان إخوان عدوّك غير ذوى طَرْق . فلا عدوَّ لك

(٦٤) مطلب

(في الحض على الوصول الى مثالب العدو وكتمها عنه)

لا تَدَعْ - مع السكوت عن شَتْمِ عدوّك - إحصاءَ[٣] مثالبه ومعايبه ومعايره[٤] واتّباعَ عوراتِهِ . حتى لا يشذّ عنك

١ التلاحى: التنازع ويقال: لاحاه ملاحاة: نازعه ، والتجافي من قولك: تجافي فلان: لم يلزم مكانه ٢ الطرق بالفتح: ضعف العقل ٣ العد والحفظ ومنه تقول أحصى فلان كذا: عده وحفظه وعقله ٤ المعايب . واتباع العورات: تطلبها واستقصاؤها




من ذلك صغير ولا كبير ، من غير أن تشيع ذلك عليه ، فيتّقيك به ، ويستعدّ له . ولا تذكره فى غير موضعه ، فتكون كمستعرض الهواء بنَبْلِهِ [١] قبل إمكان الرمى

ولا تتخذنّ اللعن والشتم على عدوّك سلاحا ، فانه لا يجرح فى نفسٍ ولا منزلةٍ ولا مالٍ ولا دينٍ

(٦٥) مطلبٌ

(فى الحض على كتمان دهائك عن الناس)

إِن اردت أَن تكون داهيا [٢] فلا تُحِبَّنَّ أن تسمّى داهيا . فإِنه من عُرِف بالدّهاء خاتل [٣] علانيةً ، وحذِرَهُ الناس [٤] ، حتى يمتنع منه الضعيف ، ويتعرّض له القوىُّ

وإنَّ من إِرْب [٥] الأريب دفنُ [٦] إِربه ما آستطاع حتّى يُعْرَف بالمسامحة فى الخليقة والآستقامة فى الطريقة

ومن إربه ألاّ يوارب [٧] العاقل المستقيم الطريقة والذى

---

١ النبل بفتح النون وسكون الباء الموحد : هى السهام لا واحد لها والجمع نبال ٢ من الدهى وهو الفكر وجودة الرأى وهو الدهاء أيضا

٣ خادع ٤ أي احترزوا منه ٥ الارب بكسر الهمزة : الدهاء والعقل

٦ أى ستره ومواراته ٧ من المواربة : المداهاة والمخاتلة




يطلع على غامض إربه ، فيمقتهُ عليه

وإِنْ أَردتَ السلامة فأَشعِرْ قلبَكَ الهيبةَ [١] للأُمور ، من غير أَنْ تَظهرَ منك الهيبةُ ، فتفُطنَهم بنفسك وتجرِّئهم عليك وتدعو إِليك منهم كلَّ الذى تهاب

فاشعَبْ [٢] لمداراة ذلك من كتمان الهيبة وإِظهار الجُرْأَة [٣] والتهاون طائفةً [٤] من رأيك

وإِن ابتُليتَ بمحاربة عدوِّك فحالف [٥] هذه الطريقة التى وصفتُ لك من استشعار الهيبة وإِظهار الجُرْأة والتهاون ، وعليك بالحِذر والجدّ فى أمرك ، والجُرْأة فى قلبك ، حتى تملأَ قلبَك جرَاءَةً ويستفرِغَ عملك الحِذرَ

(٦٦) مطلب

(فى أحوال الاعداء وبيان السبيل التى تصل بك الى قهرهم والغلبة عليهم)

اِعلمْ أنّ من عدوِّك من يعمل فى هلاكك ،ومنهم من

---

١ الهيبة : المخافة والتقيه ٢ أي فاجمع ، والمفعول هو قوله في آخر الجملة : طائفة من رأيك ٣ الشجاعة والاقدام ، والتهاون : الاستخفاف وعدم المبالاة ٤ الطائفة من الشيء : القطعة منه وما هنا على المجاز والسعة
٥ أى التزم هذه الطريقة ولا تعدل عنها

يعمل فى مصالحتك . ومنهم من يعمل فى البعد منك

فاعرفهم على منازلهم

ومن أقوى القوّة لك على عدوّك . واعزّ أنصارك فى الغَلَبَة له أنْ تُحصىَ على نفسك العيوبَ والعوْراتِ كما تحصيها على عدوّك . وتنظُرَ عند كل عيب تراه أو تسمعه لأحدٍ من الناس : هل قارفتَ [1] ذلك العيبَ أَو ماشاكله ؟ أَو سلِمتَ منه

فإنْ كنتَ قارفتَ شيئا منه . جعلتَه مما تُحصِي على نفسك . حتى إذا أَحصيتَ ذلك كلّه فكاثِرْ [2] عدوّك بإصلاح نفسك وعَثَراتك [3] ، وتحصينِ عوْراتك وإحراز مقاتلك

وخُذْ نفسك بذلك مُمْسِياً ومُصْبِحاً

فإذا آنستَ منها [4] دفعاً له وتهاوناً به [5] فاعدُدْ نفسك

---

١ أى أتيت مثله وارتكبته ٢ المكاثرة : المغالبة ٣ جمع عثرة وهى هنا : الزلة والسقوط فى الاثم ٤ أى أبصرت وأحسست من نفسك ٥ الضميران فى كلمتى (له ، به) يعودان على احصاء الانسان عيوبه

عاجزاً ضائعا ، خائبا ، مُعْوِراً[١] لعدوك ، مُمْكِناً[٢] له من رميك

(٦٧) مطلب

(فى دواء ما يستعصى عليك اصلاحه من أدواء نفسك)

وإِن حصل من عيوبك وعوراتك ما لا تقدِر على إِصلاحه من ذنبٍ مضى لك ، أو أَمرٍ يَعيبُك عند الناس ولا تراه أَنت عيباً فاحفظ ذلك واجعله نُصبَ عينك[٣] ولا تقل : وما عسى يقول فيّ القائل ! فاعلم أنّ عدوّك مُريدُك بذلك . فلا تغفل عن التهيُّؤ له بحيلتك فيه سرّاً وعلانِيَةً . وعن الإِعداد لقوّتك وحُجتك من نسبك ومثالب آبائك أوعيب إخوانك وأخدانك

فأَما الباطل فلا تَرُوعَنّ به قلبك ولا تستَعِدَّنّ له ولا تشتغلنّ بشيء من أمره . فإِنّه لا يَهُولك ما لم يقع . وما إِنْ وقع اضمحل

---

١ من أعور الفارس : اذا بدا فيه موضع خلل للضرب ٢ يقال مكنت فلانا من الشيء وأمكنته اذا جعلت له سلطانا عليه وقدرة فتمكن منه ٣ أي الغاية التى يتجه اليها نظرك

(٦٨) مطلب

(فى أن ما فى نفسك تظهر آثاره عليك اذا فوجئت به)

واعلم أنه قلّما بُدِهَ[١] أحد بشيء يعرفه من نفسه ـ وقد كان يطمع فى إخفائه عن الناس ـ فيُعيَّره[٢] به مُعيّر عند السلطان أو غيره ، إلا كاد يشهد به عليه وجهُه وعينُه ولسانُه: للذى يبدو منه عند ذلك، والذى يكون من انكساره وفتوره عند تلك البديهة

فاحذر هذه وتصنّع لها، وخذ أُهبتك لبغتاتها[٣] ، وتقدَّمْ فى أخذ العتاد لنفيها

(٦٩) مطلب

(فى ذم الغرام بالنساء والتحذير منه)

اعلمْ أنّ من أوقع[٤] الأمور فى الدين وأنهكها للجسد

---

١ بدهة بامر: استقبله به مفاجأة ٢ يقال عيرت فلانا كذا : اذا نسبته اليه وقبحته عليه ، ولا يجوز أن تقول عيرته بكذا لان المستعمل فى كلامهم عيرته الامر متعديا بنفسه . بخلاف المصباح ٣ جمع بغتة وهى الفجأة ٤ هذا اللفظ مستعار من وقعة الحرب وهى الصدمة بعد الصدمة والاسم الوقيعة والواقعة

وأتلفها للمال وأقتلها للعقل وأزراها[1] للمُرُوءة وأسرعها فى ذَهاب الجلالةِ والوقارِ الغرامُ[2] بالنساء

ومن البلاء على المُغْرَم بهنّ انه لا ينفكّ يَأجمُ[3] ماعنده وتطمَحُ[4] عيناه الى ماليس عنده منهنّ

وإنما النساء أشباهٌ

وما يَتَزَيَّنُ فى العيون والقلوب من فضْل مجهولاتهنّ على معروفاتهنّ باطلٌ وخُدْعةٌ . بل كثير مما يَرْغَبُ عنه الراغب مما عنده أفضلُ مما تتوق إليه نفسه منهنّ

وإنّما المرتغِبُ[5] عمّا فى رَحله منهنّ إلى ما فى رِحَال الناس كالمرتغِب عن طعام بيته إلي ما فى بيوت الناس : بل النساءَ بالنساء أشبه من الطعام بالطعام ، وما فى رحال الناس من الاطعمة أشدُّ تفاضلا وتفاوتا مما فى رحالهم من النساء[6]

---

١ من قولهم ذرى عليه : نقصه وعابه . والمروءة : آداب نفسانية تحمل الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجميل العادات ٢ الولوع بالشئ والاستهتار به ٣ يكرهه وبابه ضرب ٤ يقال طمح ببصره الي كذا : استشرف له

٥ يقال رغب فى الشيء رغبة أراده كارتغب ورغب عنه لم يرده

٦ كتب الشنقيطي بخطه ازاء هذا الموضع ما نصه :

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله انت قادر ... عليه ولا عن بعضه انت صابر

ومن العَجَب أنّ الرجل الذى لا بأسَ بلُبّـهِ ورأيه يرى المرأة من بعيد متلففةً فى ثيابهـا ، فيصوّرُ لها فى قلبه الحسنَ والجمالَ حتى تَعَلَقَ بها نفسهُ من غير رُؤية ولا خَبَرِ مُخبرٍ . ثمّ لَعَلّهُ يهجم منها على أقبح القُبْح وأَذَمّ الدّمامة، فلا يعظه ١ ذلك ولا يقطعه عن أمثالها . ولا يزال مشعوفا ٢ بما لم يذُقْ ، حتى لو لم يبقَ فى الأرض غيرُ امرأةٍ واحدةٍ ، لظنّ أنّ لها شأناً غيرَ شأن ما ذاق

وهذا هو الحُمقُ والشقاء والسفهُ

ومن لم يَحْمِ نفسه ويُطَلِّقها ويُحَلِّئُها ٣ عن الطعام والشراب والنساء فى بعضِ ساعاتِ شهوته وقُدْرته، كان أيسرَ ما يصيبه من وبالِ ذلك انقطاعُ تلك اللذّات عنه بخمود نار شهوته وضُعْف حوامل ٤ جسده . وقلَّ من تجدُه إلا مخادِعاً لنفسه فى أمر جسده عند الطعام والشراب والحِمْيَة ٥ والدواء، وفي

١ أي لا يكفه   ٢ من قولك شعفت بكذا : اذا غشي الى قلبك ووصل الى شعفته   ٣ يطردها ويمنعها   ٤ الارجل، ومن القدم والذراع: عصبها ، الواحدة حاملة   ٥ بالكسر ما حمى من شئ

أمر مُرُوءته عند الأهواء والشهوات ، وفى أمر دِينه عند الرِّيبة والشبهة والطمع

(٧٠) مطلب

(فيما يدعو الي تعظيمك وتوقيرك ودوام مجدك وشرفك)

إنِ استطعتَ أن تضع نفسك دون غايتك فى كلّ مجلس، ومُقَام ، ومقالٍ، ورأيٍ، وفعلٍ فافعلْ . فإنّ رفعَ الناس إيّاك فوق المنزِلة التى تحُط إليها نفسك، وتقريبَهم إياك إلى المجلس الذى تباعدتَ منه ، وتعظيمَهم من أمرك ما لم تعظّم، وتزيينَهم من كلامك ورأيك وفعلك ما لم تُزَيِّنْ هو الجَمالُ [١]

لا يُعجبَنَّك العالِمُ ما لم يكن عالما بمواضع ما يَعلَم ، ولا العاملُ إذا جَهِل موضع ما يعمَل

وإنْ غُلبتَ على الكلام وقتاً فلا تُغلَبَنَّ على السكوت ! فانه لعله يكون أشدَّهما لك زينةً ، و أجلبهما إليك للمودة

---

١ الحسن فى الخلق والخلق . وكتب الشنقيطى بخطه أزاء هذا من نسخته ما نصه :

كن كاملا وارض بصف النعال ... ولا تكن صدرا بغير الكمال
فان تصدرت بلا آلة ... صيرت ذاك الصدر صف النعال

وأبقاهما للمهابة ، وأنفاهما للحَسد

(٧١) مطلبٌ

(فى ذم المراء والتحذير منه)

احذرِ المِرَاء[١] وأغرِبْهُ[٢] . ولا يمنعنَّك حَذَرُ المرَاء من حُسْن المناظرة والمجادلة

واعلمْ أنَّ المماری هو الذی يريد أن يتعلّم من صاحبه، ولا يرجو أن يتعلم منه صاحبه . فإنْ زعم زاعم أنَّه مجادلٌ فى الباطل عن الحقّ ، فإنّ المُجَادِلَ - وإنْ كان ثابت الحُجَّة ظاهر البيِّنة حاضرَ الذهن - فإنه يخاصِم إلى غير قاضٍ ، وإنما قاضيه الذى لا يعدِلُ بالخصومة إلا إليه عدلُ صاحبه وعقلُه . فان آنَسَ أو رجا عند صاحبه عدلا يقضى به على نفسه فقد أصاب وجه أمره . وإن تكلم على غير ذلك كان ممارياً

وإنِ استطعتَ ألاّ تُخبِرَ أخاك عن ذات[٣] نفسك بشئ

---

١ هو الجدال مما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب ٢ أى تباعده وأبعده ٣ ذات النفس : عبارة عما تخفيه وتضمره فيها

إلا وأنت مُختَجِنٌ [١] عنه بعضَ ذلك ٱلتماساً لفضل الفعل على القول ، وٱستعداداً لتقصير فعلٍ - إن قصَّر - فٱفعل

وٱعلمْ أنّ فضل الفعل على القول زينةٌ ، وفضلَ القول على الفعل هُجْنة [٢] وأن إحكام هذه الخلَّه من غرائب الخلال.

(٧٢) مطلب

(فى ان لا راحة من كثرة الاعمال الا بالفراغ منها)

إذا تراكمَتْ عليك الأعمال فلا تلتمِس الرَّوْح [٣] فى مدافعتها [٤] بالرَّوغان منها. فانه لا راحةَ لك إلا في إصدارها [٥] . وإنّ الصبر عليها هو الذى يخفّفِها عنك ، والضَّجَرَ هو الذى يراكمها عليك

فتعهَّدْ من ذلك فى نفسك خَصلة : قدرأيتُها تعترى بعض أصحاب الأعمال . وذلك أن الرجل يكون فى أمر من أمره ، فيَرِدُ عليه شغلٌ آخرُ ، أو يأتيه شاغلٌ من الناس يكره إتيانه

١ والمراد أن يحبس عنه بعض ذلك ويكتمه : من قولهم احتجن فلان المال : ضمه اليه واحتواه ٢ بالضم هى من الكلام مايعيبه ٣ أي الراحة ٤ تمهلها الى يوم بعد يوم ٥ الانصراف عنها والفراغ منها

فيكدِرُ ذلك بنفسه تكديراً يُفسدُ ما كان فيه وما ورد عليه، حتى لا يُحكِمَ واحداً منهما. فاذا ورد عليك مثلُ ذلك فليكنْ معك رأيك وعقلُك اللذان بهما تختار الأمور، ثمَّ اخترْ أولى الأمرين بشغلك، فاشتغلْ به حتّى تفرُغَ منه. ولا يعظُمَنَّ عليك فوْتُ مافات وتأخيرُ ماتأخَّرَ إذا أعملْتَ الرأيَ مُعْمَلَهُ وجعلتَ شغلك في حقّه، واجعلْ لنفسك في كلّ شُغلٍ غايةً ترجو القوّة والتمام عليها

(٧٣) مطلب

(في ذم تجاوز الحد)

اِعلمْ أنّك إنْ جاوزتَ الغاية في العبادة صِرتَ إلى التقصير، وإنْ جاوزتَها في حَمل العلم لَحِقتَ بالجهّال، وإنْ جاوزتَها في تكلُّف رضَى الناس والخفّة معهم في حاجاتهم كنتَ المُحسَّر[١] المضيَّع

واعلمْ أنَّ بعض العطيّة لُؤْمٌ، وبعض السلاطة[٢] غُرْمٌ،

---

١ من التحسير وهو الايقاع في الحسرة ٠ والمضيع: يريد به أن يكون بدار ضياع وهلاك ٢ حدة اللسان وشدته

وبعضَ البيان عِيٌّ ، وبعض الحلم جهلٌ . فإن استطعتَ ألا يكون عطاؤك جورا ، ولا بيانك هذَراً[1] ، ولا علمك وبالاً فافعل

(٧٤) مطلبٌ

(في الحرص على حفظ مايروعك ويعجب غيرك)

اِعلمْ أنّه ستمرُّ عليك أحاديث تُعجِبك : إمّا مليحةٌ وإما رائعة

فإذا أعجبتك كنتَ خليقاأن تحفظَها ، فإنَّ الحفظ موكَّلٌ بما مَلُحَ وراعَ . وستحرِصُ على أن تعَجبَ منها الأقوامُ . فان الحِرص على التعجُّب من شأن الناس . وليس كل مُعْجِب لك مُعْجِباً لغيرك

فاذا نَشَرْتَ ذلك المرّة والمرّتين ، فلم ترَه وَقَعَ من السامعين موقعَه منك فانزجرْ عن العودة . فإنّ العَجَب من غير عجيب سُخْفٌ[2] شديدٌ

وقد رأينا من الناس مَن تعلّق بالشيء ولا يقلع عنه

---

١ الهذر سقط الكلام ٢ السخف : رقة العقل ونقصانه

وعن الحديث به ، ولا يمنعه قِلّة قبول أصحابه له من أن يعود إليه ثم يعود

ثمّ انظرِ الأخبار الرّائعة فتحفَّظ [١] منها . فإنّ الإِنسان من شأنه الحِرص على الإِخبار ، لا سيّما [٢] مايَرتاع الناس له. فأكثرُ الناس من يُحدّث بماسمِع ،ولا يبالى ممّن سمِعَ. وذلك مَفسَدَة للصدق ومَزرَاة بالمُرُوءة

فإنِ استطعتَ ألاّ تُخبِرَ بشئٍ إلاّ وأنت به مصدِّقٌ (ولا يكون تصديقك إلا ببرهانٍ) فافعل. ولا تقل كما يقول السفهاء : أُخبِرُ بما سمعتُ .

فانّ الكَذِبَ أكثرُ ما أنت سامِعٌ ، وإنّ السُّفَهاء أكثرُ من هو قائلٌ . وإنّك إنْ صِرتَ للأحاديث واعياً وحاملا كانَ ما تَعِي وتحمِلُ عن العامّة أكثرَ مما يَختَرِعُ المختَرِعُ بأضعافٍ

---

١ من الحفظ وهو استظهار الشيء واختار هذه الصيغة لينبه على كثرة الحفظ من ذلك النوع وتفسير هذه الكلمة بالاحتراس والتحرز ناب عن السياق

٢ هذا تركيب كالكلمة الواحدة ، ويساق لترجيح مابعده على ماقبله فيكون كالمخرج عن مساواته الي التفضيل

(٧٥) مطلب

(فى العفو عن الناس وعدم مجاراة السفيه)

أنظر من صاحبتَ من الناس : من ذى فضلٍ عليك بسلطانٍ أو منزلةٍ ، أو مَن دُون ذلك من الأكفاءِ والخُلَطاءِ والإِخوان ، فوَطِّنْ نفسَك فى صُحبته على أن تقبَلَ منه العفوَ وتسخُو نفسُك عما اعتاصَ [١] عليك مما قبلَه ، غيرَ مُعاتِب ولا مُستبطِئٍ ولا مُستزيدٍ . فانَّ المعاتبة مَقطَعةٌ للوُدِّ ، وإنَّ الاستزادة من الجَشَع [٢] ، وإنَّ الرضا بالعفو والمسامحة فى الخُلُق مُقَرِّبٌ لك كلَّ ما تَتُوق إليه نفسُك ، مع بقاء العِرض والمودّة والمُرُوءة

واعلمْ انّك ستُبلَى من أقوامٍ بسفَهٍ ، وأنَّ سفَهَ السفيه سيُطْلِعُ له منك حقداً . فانْ عارضْتَهُ أو كافأتَه بالسَّفَهِ فكأنّك قد رضيتَ ما أتى به ، فأَحببتَ أن تحتذىَ على مثاله . فإنْ كان ذلك عندك مذموما فحقق ذمَّك إيّاه

١ أى ما يصعب عليك استخراج معناه ٢ أشد الحرص وأسوأه

بترك معارضته . فأما أن تذمّه وتمثّلهُ [١] ، فليس ذلك لك سَدادٌ [٢]

(٧٦) مطلب

(لا تصاحب أحدا من الناس الا بالمروءة وان كان ذا دالة عليك)

لا تصاحِبنّ أحداً (وإن آستأنستَ به أخاً ذا قرابةأو أخاً ذا مودّة) ولا والداً ولا ولداً إلا بمُرُوءة ،فإن كثيراً من أهل المرُوءة قد يحملهم الآسترسال والتبذّل على أن يصحَبوا كثيراً من الخلطاء بالإدلال والتهاون والتبذُّل

ومَن فَقَدَ من صاحبه صُحبةَ المروءة ووقارَها وجلالَها أحدثَ ذلك له فى قلبه رِقّة شأن وسُخف منزلة

ولا تلتمِس غَلَبةَ صاحبك والظَّفَرَ عليه عند كلّ كلمةٍ ورأيٍ . ولا تجترئَن على تقريعه بظَفَرك اذا آستبان،وحجّتك عليه إذا وَضَحَت

---

١ يقال امتثل المثال : حذا حذوه وصنع مثيله   ٢ السداد : الصواب من القول والعمل

فإنّ أقواما قد يحملهم حُبُّ الغَلَبة وسفهُ الرأى فى ذلك على أن يتعقّبوا [١] الكلمة بعدما تُنسى ، فيلتمسوا فيها الحُجّة ، ثم يستطيلوا [٢] بها على الأصحاب . وذلك ضَعْفٌ فى العقل ولُؤم فى الأخلاق

(٧٧) مطلب

(في التحذير من أن تخدع باكرام من يكرمك لجاه أو منزلة)

لا يُعجبنك إكرامُ مَن يكرمك لمنزلةٍ أوسلطانٍ، فإنّ السلطان أوشكُ [٣] أمور الدنيا زوالا . ولا يُعجبنك إكرامُ مَن يكرمك للمال ، فإنّه هو الذى يتلو السلطان فى سرعة الزوال . ولا يُعجبنك إكرامهم إيّاك للنسب ، فإنّ الأنساب أقلُّ مناقب الخير غَناءً [٤] عن أهلها فى الدّين والدنيا

ولكن إذا أُكرِمتَ على دِينٍ أو مُرُوءةٍ فذلك

---

١ تعقبه : أخذه بذنب وتعقبه طلب عورته أو عثرته فمعنى قوله يتعقبوا الكلمة يعتدوها عليه ذنبا وعورة ٢ يقال استطال فلان على فلان : قهره وغلبه وتطاول عليه كذلك ٣ من الوشك وهو الاسراع يقال وشك الامر: اسرع ٤ يقال هذا الامر أغنى غنى غنـاء فلان ناب عنه : وأجزأ مجزأه

فليُعجبك ؛ فإنّ المروءة لا تزايلك [١] فى الدنيا . وإنّ الدين لا يزايلك فى الآخرة

(٧٨) مطلب

(فى ذم الجبن والحرص)

اعلمْ أنّ الجبنَ مقتلةٌ ، وأنّ الحرص مَحرَمَةٌ

فانظر فيما رأيتَ أوسمِعت : أمَنْ قتِل فى القتال مقبِلا أكثرُ ؟ أم من قتِل مُدْبِرا ؟ وانظر أمَنْ يطلب إليك بالإجمال والتكرم أحقُّ أن تسخوَ نفسك له بطَلِبَتِه ؟ أم من يطلب إليك بالشره [٢] والزيغ [٣] ؟

واعلمْ أنه ليس كلُّ مَن كان لك فيه هوىً ، فذَكرَهُ ذا كرٌ بسوءٍ وذكرته أنت بخير ينفعه ذلك . بل عسى أنْ يضُرّه

فلا يستخفنَّك ذِكرُ أحدٍ من صديقك أو عدوك إلا فى مواطن دفعٍ أو محاماة [٤] ، فإنّ صديقك ـ إذا وثق بك

---

١ من التزايل وهو التفرق ٢ الشره : غلبة الحرص ٣ الجور عن الحق
٥ يقال حاميت عن فلان محاماة : منعت عنه ودافعت




فى مواطن المحاماة ـ لم يحفِلْ [١] بما تركتَ مما سوىٰ ذلك . ولم يكن له عليك سبيلُ لائمةٍ

وإنّ من أُحزم الرأى لك فى أمر عدوّك ألاّ تذكره إلا حيث تضرُّه . وألاّ تَعدَّ يسيرَ الضرر له ضررا

(٧٩) مطلبٌ

(فى الاحتراس مما يعتري الاخلاق الكريمة من الآفات)

اِعلمْ أنّ الرجل قد يكون حليما ، فيحمله الحِرصُ على أن يقول الناس جليدٌ . والمخافةُ أن يقال مَهينٌ على أنْ يتكلَّف الجهل . وقد يكون الرجل زميتاً [٢] فيحمله الحرص على أن يقال لَسِنٌ [٣] . والمخافةُ من أن يقال عَيِيٌّ على أن يقول فى غير موضعه فيكون هَذِراً [٤]

فاعرِفْ هذا وأشباهَه . واحترسْ منه كلّه

---

١ لم يبل تقول ما حفلت بكذا وما احتفلت به . ما باليت ٢ الزميت : الوقور . والزميت : الكثير الوقار ٣ أى فصيح ٤ كثير الكلام فى الخطا والباطل

(٨٠) مطلب

(في مخالفة ما يكون أقرب الى هواك)

إذا بَدَهَك [١] أمران لا تدرى: أيُّهما أصوبُ فانظرْ: أيّهما أقربُ إلى هواك فخالِفْهُ، فإنّ أكثرَ الصواب فى خلاف الهوَى

وليجتمعْ فى قلبك الافتقارُ إلى الناس والاستغناء عنهم! وليكنِ افتقارُك إليهم فى لينِ كلمتك لهم، وحُسْنِ بِشرِك بهم! وليكن استغناؤك عنهم فى نزاهة عِرضِك وبقاء عِزّك

(٨١) مطلب

(في آداب المجالسة)

لا تُجالسنّ امرأ بغير طريقته! فإنّك إنْ أردتَ لقاءَ الجاهل بالعلم، والجافى [٢] بالفقه والعيِيّ بالبيان لم تَزِدْ على أن تُضَيّعَ علمك وتُؤْذى جليسك بحملك عليه ثِقْلَ مالا يَعرِفُ

١ يقال بدهه بكذا: استقبله به أو بدأه به وبدهه أمر فجأه ٢ من الجفاء وهو الغلظة والفظاظة والفقه. العلم بالشيء والفهم له

وغَمِّك إياه بمثل مايغتمُّ به الرجُل الفصيحُ من مخاطبة الأعجمى [١]
الذى لا يفقه عنه

واعلمْ أنّه ليس من علمٍ تذكُرُه عند غير أهله إلا عابوه،
ونصبوا [٢] له، ونقضوه عليك، وحرَصوا على ان يجعلوه جهلا،
حتى إنَّ كثيراً من اللهو واللعِب الذى هو أخفُّ الأشياء
على الناس ليَحضُرُه من لا يعرِفُهُ، فيثقُلُ عليه ويغتمُّ به

وليعلمْ صاحبُك أنك تُشفِق [٣] عليه وعلى أصحابه! وإياك
إنْ عاشرك امرؤٌ أو رافقك أنْ يرَى منك الولوعَ بأحدٍ من
أصحابه وإخوانه وأخدانه. فإنَّ ذلك يأخُذ من أعِنَّة القلوب
مأخذًا. وإنَّ لُطفَك بصاحبِ صاحبِك أحسَنُ عنده موقِعًا من
لطفِك به في نفسه

واتَّقِ الفرَحَ عند المحزون! واعلَمْ أنه يَحقِدُ على المُنطلِق [٤]
ويشكرُ للمُكتئِب

---

١ الاعجمى ٠ والاعجم الذى في لسانه عجمة ولكنة ٢ أي عادوه
٣ من الشفقة وهى حرص الناصح على صلاح المنصوح ٤ من انطلاق
الوجه وهو انبساطه بالبشر والسرور

إعلَمْ أَنَّك ستسمعُ من جُلسائك الرأيَ والحديثَ تُنْكِرُهُ وتستجفيه وتستشنعه من المتحدّث به عن نفسه أوغيره ، فلا يكونَنَّ منك التكذيب ولا التسخيف لشئٍ مما يأتى به جليسك . ولا يُجرِّئَنك على ذلك أنْ تقول: إنما حدث عن غيره ، فإنّ كلّ مردودٍ عليه سيمتعِضُ[١] من الردِّ . وإنْ كان فى القوم من تكرَهُ أنْ يستقِرَّ فى قلبه ذلك القولُ ، لخطإٍ تخاف أن يعقد عليه ، أو مضرّة تخشاها على أحدٍ فإنَّك قادرٌ على أن تنقُضَ ذلك فى سَتر . فيكون ذلك أيْسرَ للنقض وأبعد للبغضة

ثم اعلمْ أنَّ البِغْضَةَ خَوفٌ ، وأن المودّةَ أَمْنٌ ، فاستكثِرْ من المَوَدّة صامتا ، فإنّ الصمت سيدعوها إليك . وإذا ناطقتَ فناطِقْ بالحُسْنى ، فإنّ المنطِقَ الحَسَنَ يَزيدُ فى ودِ الصديق ويَسُلُّ سخيمةَ الوَغرِ[٢] .

ولتعلمْ أنّ خفضَ الصوت وسكونَ الريح ومشىَ القَصْدِ[٣] من دواعى المودة ، اذا لم يخالط ذلك بأْوٌ[٤] ولا عُجْبٌ . أما العُجْب

١ يغضب ويشق عليه ٢ أي الحقد والضغن والعداوة ٣ القصد ضد الافراط ٤ البأو هو الفخر والكبر والتيه

فهو من دواعي المقتِ والشَّنآن[١]

(٨٢) مطلبٌ

(فى بيان ان المستشار ليس بضامن وجه الصواب)

إعلَمْ أنّ المستشار ليس بكفيلٍ[٢]، وأنّ الرأىَ ليس بمضمونٍ . بل الرأىُ كلُّه غَرَرٌ[٣]، لأَنَّ أمور الدنيا ليس شىْ منها بثقةٍ ، ولأنه ليس من أمرها شىْ يُدركه الحازم إلاّ وقد يُدركه العاجز . بل ربما أعيا الحَزَمَةَ ما أمْكَنَ العَجَزَةَ . فإذا أشار عليك صاحبُك برأىٍ ، ثم لم تجدْ عاقبتَه على ما كنتَ تأمُلُ فلا تجعلْ ذلك عليه دَيْناً ، ولا تُلزِمْهُ لَوْماً وعَذْلاً : بأنْ تقول : أَنْتَ فعَلْتَ هذا بى ، وأَنْتَ أَمرتَنى ، ولولا أنت لم أفعلْ ، ولا جَرَمَ لا أطيعُك فى شىءٍ بعدها . فان هـذا كله ضَجَرٌ ولَوْمٌ وخِفَّةٌ

فإنْ كنتَ أنت المشيرَ ، فعَمَل برأيك أَو تركه ، فبدا

---

١ البغض ٢ الكفيل: الضامن يريد ان الذي يشير عليك لا يضمن انجاح مشورته ٣ أى على غير عهدة ولا ثقة .

صوابُك فلا تمنُنْ به ولا تُكثِرَنَّ ذِكْرَهُ إنْ كان فيه نجاح، ولا تَلُمْهُ عليه إنْ كان قد استبان فى تركه ضرر: بأن تقول: أَلَمْ أَقُل لك: إفعلْ هذا، فإنَّ هذا مُجانبٌ لأَدب الحكماء

(٨٣) مطلب

(فى الحرص على الاستماع)

تعلمْ حُسْنَ الاستماع كما تتعلمُ حسن الكلام. ومن حسن الاستماع إمهالُ المتكلِّمِ حتى ينقضِي حديثُه، وقلَّةُ التلفُّتِ الى الجواب، والإقبالُ بالوجهِ والنظرِ إلى المتكلمِ، والوعْيُ[1] لما يقول

واعلمْ - فيما تكلِّمُ به صاحبك - أنَّ مما يُهجِّنُ صواب ما يأتى به، ويَذهبُ بطعمه[2] وبهجتة، ويزْرِى[3] به فى قبوله عَجَلَتُك بذلك، وقطعُك حديثَ الرجُل قبل أنْ يفْضِي إليك بذات نفسه

١ وعى الحديث: حفظه وتدبره ٢ طعم الشيء: حلاوته أو مرارته والمراد هنا طلاوته وبهاؤه في الاصل ٣ يقال: أزري به الخلق: عابه

(٨٤) مطلب

(فى ان الزهد في الدنيا لا يكون مع تعذرها عليك)

إِن رأيتَ نفسك تصاغرَت إليها الدنيا . أو دعتك إِلى الزهادة فيها على حال تعذُّر من الدنيا عليك فلا يغرَّنَّكَ ذلك من نفسك على تلك الحال، فإِنها ليست بزهادة ، ولكنَّها ضجرٌ واستخذاء١ وتغيير نفس عند ما أعجزك من الدنيا وغضب منك عليها مما التوى٢ عليك منها . ولو تممتَ على رفضها وأمسكتَ عن طلبها أوشكتَ أن ترى من نفسك من الضجَر والجزَع أشدَّ من ضجرك الأوّل بأضعافٍ ولكن إِذا دعتك نفسُك إِلى رفضِ الدنيا ـ وهى مقبلة عليك ـ فأسرِعْ إلى إِجابتِها

(٨٥) مطلب

(فى التحذير من الدفاع عمن ذكر بنقيصة)

اِعرفْ عوراتك . وايّاك أنْ تعرِّض بأَحدٍ فيما ضارعها٣ !

١ الاستكانة والخضوع ٢ صعب عليك اليه الوصول ٣ شابهها وماثلها وهو المبالغة في الغضب

وإذا ذكرتَ من أحدٍ خليقةً فلا تُناضل عنه مُناضلَةَ المُدافع عن نفسه . المُصَغِّرِ لِمَا يعيبُ الناسُ منه . فَتُتَّهَمَ بمثلها . ولا تُلحّ كُلَّ الإلحاح . وليَكُنْ ما كان منك فى غير اختلاط. فإن الاختلاط من محقِّقَات الرِّيَبِ

(٨٦) مطلب

(فى التحذير مما يجرح قلب الجليس من الفاظ الذم والتشهير)

اذا كنتَ فى جماعةِ قومٍ أبداً فلا تَعُمَّنَّ جيلاً من الناس أو أمَّة من الأمم بشتْمٍ ولا ذَمٍّ . فإنَّك لا تدرى : لعلك تتناول بعض أعراض جلسائك مُخْطِئًا ، فلا تأمَن مُكافأتَهُمْ . أو متعمِّداً ، فتُنسَبَ إلى السَّفَه . ولا تَذُمَّنَّ مع ذلك اسماً من أسماء الرجال أو النساء : بأن تقول : انَّ هذا لقبيحٌ من الأسماء . فإنَّك لا تدرى : لعلَّ ذاك غير موافق لبعض جُلسائك ، ولعله يكون بعض أسماء الأهلين والحُرُم. ولا تستصغِرَنَّ من هذا شيئاً ، فكلُّ ذلك يجرَحُ في القلب . وجُرْحُ اللسان أشَدُّ من جرح اليدِ

ومن الأَخلاق السيِّئة على كل حال مُغَالبةُ الرجل على كلامه ، والاَعتراضُ فيه ، والقَطْعُ للحديث

ومن الأَخلاق التى أنت جدير بتركها ـ إذا حدث الرجلُ حديثا تعرفُهُ ـ أَلاَّ تسابقَه إليه وتفتحه عليه وتشاركه فيه ، حتى كأَنَّك تُظهر للناس بأَنك تُريد أنْ يعلموا انك تعلمُ مِثلَ الذى يعلمَ . وما عليك أنْ تهنئه بذلك وتفرِدَهُ به

وهذا الباب من أبواب البخل . وأبوابُهُ الغامضة كثيرةٌ

*
* *

اذا كنتَ فى قوم ليسوا بُلغاءَ ولا فصحاءَ . فدَعِ التطاوُل عليهم بالبلاغة والفصاحة

واعلمَ أن بعضَ شدَّةِ الحَذَرِ عونٌ عليك فيما تَحْذَرُ . وأنَّ بعضَ شدَّة الاَتِّقاءِ مِمَّا يدعو إليك ما تتقى

واعلَمْ أنَّ الناس يخدعون أنفُسَهم بالتعريض والتوقيع بالرجال فى التماس مَثالبهم ومَساويهم ونقيصتهم . وكلُّ ذلك

أبينُ عندسامعيه من وَضَحِ[1] الصُّبْحِ . فلا تكونَنَّ من ذلك في غرور . ولا تجعلَنَّ نفسك من أهله

اِعلم أنَّ من تنكُّب[2] الأمور ما يُسَمَّى حَذَراً[3] . ومنه ما يُسَمَّى خَوَراً[4] . فإنِ اَستطعتَ أنْ يكون لحينك من الامر قبل مواقعتك إيَّاه فافعل . فإنّ هذا الحَذَرُ . ولا تنغمِس فيه ثم تَهَيَّبهُ . فإنّ هذا هو الخَوَرُ . فإنّ الحكيم لا يخوض نهراً حتّى يعلم مقدار غوره

قد رأينا من سُوء المجالسة أنَّ الرجُلَ تثقُلُ عليه النعمة : يراها بصاحبه ، فيكون ما يشتفي بصاحبه – في تصغير أمره وتكدير النعمة عليه – أنْ يذكر الزوال والفناء والدول . كأنّهُ واعظ وقاصٌّ . فلا يخفى ذلك على من يُعنَى به ، لا غيرهِ . ولا يُنزَّل قولهُ بمنزلة الموعظة والإبلاغ . ولكن بمنزلة الضَّجَر من النعمة – إذا رآها لغيره – والاَغتمام بها والاَستراحة إلى غير رَوْح

---

١ الوضح محركا البياض والضوء ٢ التباعد والعدول عنها ٣ الحذر الاحتراز ٤ الخور والضعف

وإنى مخبرُك عن صاحبٍ لى . كان من أعظم الناس فى عينى . وكان رأسُ ما أعْظمَهُ فى عينى صِغرَ الدنيا فى عينه : كان خارجاً من سلطانِ بطنه ، فلا يتشهىّ ما لا يجد، ولا يُكثر إذا وَجَدَ . وكان خارجاً من سلطان فَرْجِهِ ، فلا يدعو إليه ريبة ، ولا يستخفُّ له رأياً ولا بدناً . وكان خارجا من سلطان لسانه ، فلا يقول ما لا يَعْلَمُ ، ولا ينازع فيما يعلم . وكان خارجا من سلطان الجهالة ، فلا يُقْدِمُ أبداً إلا على ثقةٍ بمنفعةٍ

كان أكثَرَ دهره صامتا . فاذا نطق بَذَّ الناطقين .

كان يُرَى متضاعفا مستضعَفاً ، فاذا جاء الجِدُّ فهو الليث عاديا

كان لا يدخلُ فى دَعْوَى ، ولا يشترك فى مِراءٍ ، ولا يُدْلِى بِحُجّة حتى يرَى قاضيا عَدْلاً وشُهوداً عُدُولاً

وكان لا يلوم أحداً على ما قد يكون العذر فى مثله حتى يعلمَ : ما اعتذارُه

وكان لا يشكو وجَعاً إلاّ الى مَن يرجو عنده البُرءَ .

وكان لا يستشير صاحباً الاّ من يرجو عنده النصيحة .

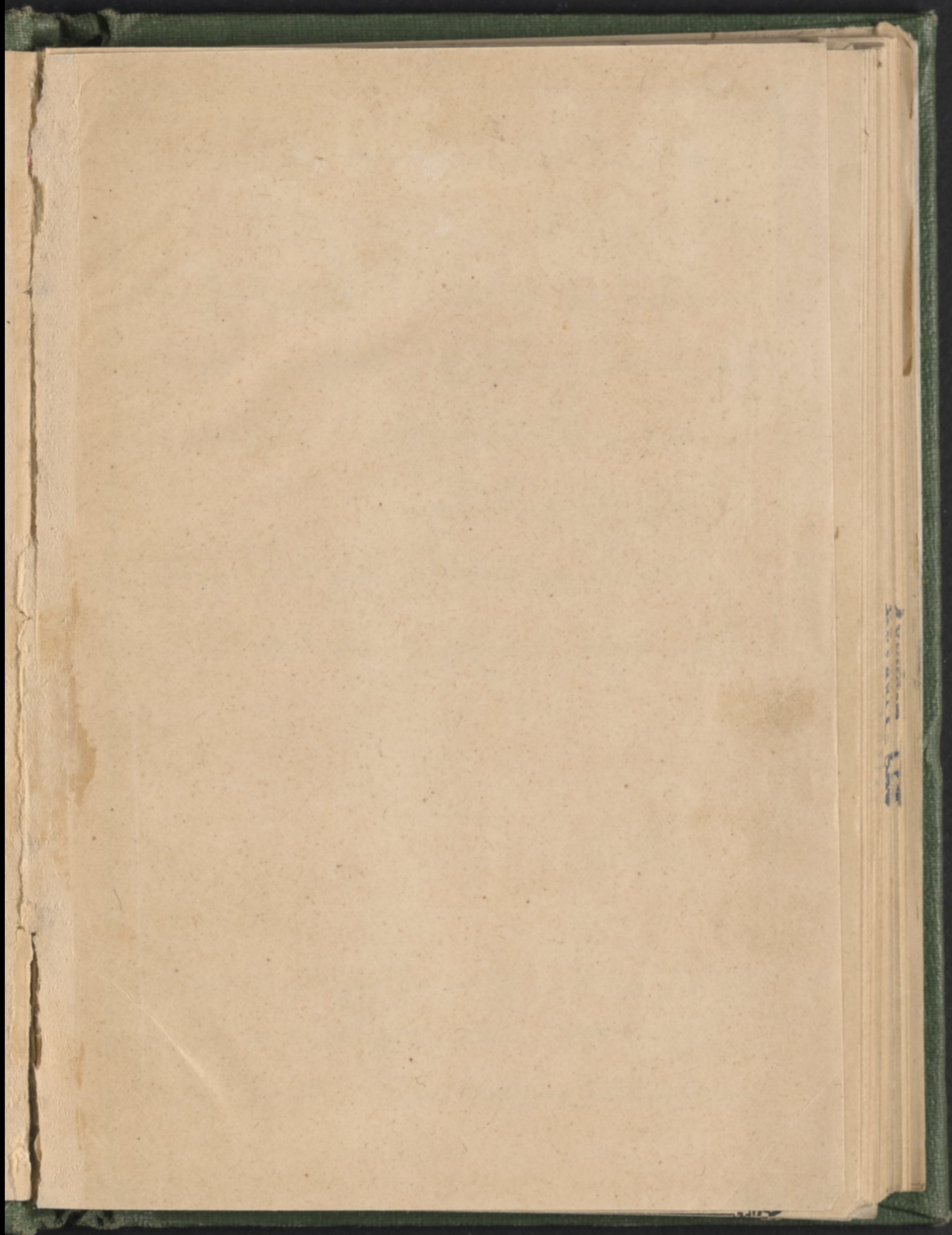
وكان لا يتبرّم ، ولا يتسخّط ، ولا يتشهّى ، ولا يتشكّى

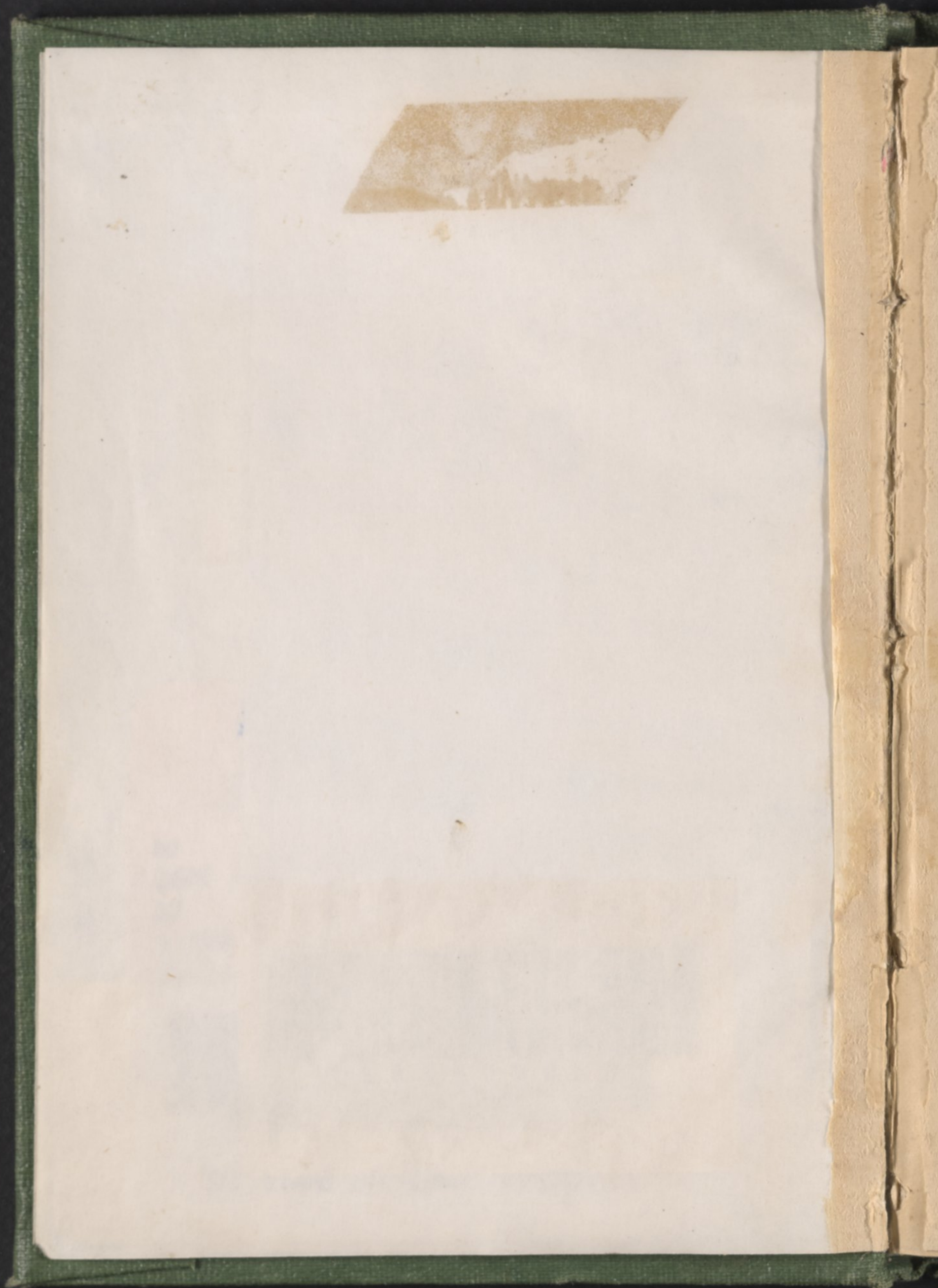
وكان لا ينقمُ على الوليّ ، ولا يَغفُلُ عن العدُوّ ، ولا يَخُصُّ نفسهَ دون إخوانه بشيء من اهتمامه وحيلته وقوته

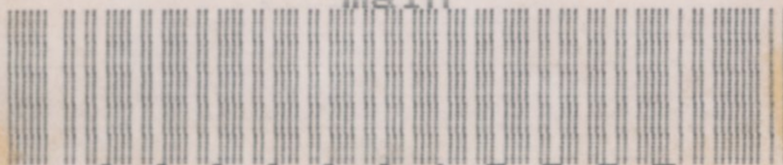
فعليك بهذه الأخلاق إن أطقتَ - ولن تطيق - ولكنّ أخذَ القليل خير من تركِ الجميع

واعلَمْ أنّ خيرَ طبقاتِ أهل الدنيا طبقةٌ أَصِفُها لك : من لَمْ ترتفِعْ عن الوضيع ولم تتّضع عن الرفيع

قد تم بحول الله ومشيئته طبع هذا السفر الجليل في أول ذى الحجة من سنة — ١٣٣١ — احدى وثلاثين وثلاثمائة بعد الالف من هجرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ؟ محمد حسن نائل المرصفى






main
0000000062827